من معوقات الدعوة
على ضوء الكتاب والسنة

(ضعف الإيمان)

د/عبد المهيمن عبد السلام طحان

الأستاذ المساعد في معهد إعداد الأئمة والدعاة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام الدعاة، وخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذا بحث في ضعف الإيمان لدى بعض الدعاة، وآثار هذا الضعف في تعويق الدعوة، استقرت في نفسي أهميته، وتجمعت في ذهني نقاطه، خلال سنوات عملي في معهد إعداد الأئمة والدعاة في مكة المكرمة مدرساً لطلابه، ووكيلاً لعميده.

وبعض الناس لا يرغبون في الحديث عن السلبيات، ولا تسليط الضوء على الأخطاء في السلوكيات، لكني آثرت ذلك، لاعتقادي أن تشخيص الداء، ووضع اليد على مكمنه، هو المقدمة الضرورية للعلاج السليم. بالإضافة إلى أن الحديث عن السلبيات، بقصد التحذير منها لاجتنابها، أمر غير منكر، ولبيان طريق الخلاص منها لمن ابتلي بها، أمر محمود مشكور.

ومع أن السلبيات في حياة بعض الدعاة كثيرة، والأخطاء في ممارساتهم وفيرة، والتقصير في إعدادهم وتأهيلهم واضح وجلي للعيان. إلا أن ضعف الإيمان يبقى في نظري أخطر هذه السلبيات، وأعظمها ضرراً على الداعية وعلى الدعوة كذلك.

من هنا كانت بداية كتابتي في هذه الموضوعات على هذا البحث، وأرجو أن لا تكون هي الخاتمة، فإن في جعبتي مواضيع أخر في سلبيات تأهيل الدعاة وتدريبهم، أرجو أن ييسر الله تعالى إكمال البحث فيها، وإخراجه لينتفع به، إنه سميع مجيب.

وفي هذا المبحث حرصت على:

أ - الاعتماد على الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة بشكل أساسي.

ب - الاكتفاء بمقدمة مختصرة، أو تعقيب محدود، يساعد على فهم الآية والحديث، ويبين موضع الشاهد، والغرض من إيراد النص، مع الحرص على عدم إثقال النص الكريم بالتعليق الواسع، وعدم مزاحمته بالكلام المطول، ليبقى القارئ في جو الآية الكريمة، وقدسيتها، وروحانيتها، ومع الحديث الشريف ببلاغته، وتأثيره في النفوس.

فأنا حريص على أن يكون كلامي قنطرة، يعبر عليها القارئ إلى آيات القرآن الكريم، وجسراً يوصله إلى أحاديث النبي الكريم، لا أن يكون حجاباً حاجزاً، ولا شاغلاً صارفاً.

ج - الاكتفاء بالأحاديث الصحيحة عن الضعيفة، وبالمقبولة عن المردودة، فلم أستشهد بالحديث الضعيف، لأن في

الصحيح والحسن عنه غنية.

د - عدم التوسع في تخريج الأحاديث، والاجتزاء بما يدل على صحة الحديث أو حسنة. وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، لم أذكر ما وراءهما من كتب الحديث، إلا إذا كان في رواية غيرهما ما يدعو إلى ذكرها.

هـ - عرفت بالأعلام الذين غلب على ظني حاجة القارئ إلى معرفة منزلتهم في العلم ومكانتهم في الدين، دون غيرهم. فلم أترجم للصحابة ولا للمشهورين من العلماء.

و - نصوص الكتاب والسنة التي ظاهرها الحكم بالكفر على من فعل معصية من المعاصي، مثل (آية المنافق ثلاث)، و (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) و ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [**النحل** : ١٠٥]، وغيرها كثير.

ومن المعروف أن الكفر المذكور فيها هو حكم المستحيل، وأما غير المستحيل فكفره كفر أصغر لا يخرج من الملة، لكن الحكمة في الدعوة، تقتضي إبقاء هذه النصوص في الخطاب الدعوي كما هي، دون ذكر التفصيل بين المستحيل وغيره، لكون عدم التفصيل أوقع في نفوس المخاطبين. والعلماء يقولون في مثل هذه النصوص إنها

خرجت مخرج الزجر، أو ذكرت للتغليظ، أو أن المراد إذا داوم عليها فاعلها أدت به إلى الكفر. (انظر فتح الباري ١٦٣/٣، الزواجر ٢٢٤/١، تفسير القرطبي ١٥٤/٤) وأمثال هذه العبارات التي مؤداها ما ذكرته.

وقال ابن حجر في فتح الباري ١٦٤/٣ : وحكي عن سفيان[١] أنه كان يكره الخوض في تأويله ويقول: ينبغي أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر. اهـ.

وهذا هو الذي مشيت عليه في هذا البحث، لاعتقادي وجوب التفرقة بين الخطاب الدعوي، وبين الحكم القضائي أو فتوى المفتي. ففي الخطاب الدعوي، تقتضي الحكمة في الدعوة زجر المخاطبين عن المنكرات، بالتغليظ عليهم، وذلك بإبقاء نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها. أما في مقام الإفتاء والقضاء، فلا بد من التفصيل، والبيان الذي يرفع اللّبس، ويدفع سوء الفهم، ويبين الحكم الشرعي المناسب للحالة المعروضة.

وقد أوسعت هذه القضية بياناً واستدلال، في بحث التأهيل العلمي والثقافي للداعية، عند الكلام عن فتنة

---

(١) هو سفيان بن سعيد الثوري الإمام الكبير في الحديث والفقه والزهد (ت/١٦١). أنظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٠٣/١، تهذيب التهذيب لابن حجر ١١٤/٤.

التكفير التي وقع فيها بعض الدعاة، أسأل الله تعالى أن ييسر لي إكماله وطباعته.

هذا وقسمت البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول في أسباب ضعف الإيمان.

الفصل الثاني في مظاهر ضعف الإيمان، ونتائجه التي تعيق الدعوة.

الفصل الثالث في علاج ضعف الإيمان.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي في هذا البحث، وجهدي فيه، خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعم به النفع، ويجزل لي المثوبة، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة

الفقير إلى عفو الله تعالى ورحمته

٢٧ / ٥ / ١٤٢١ هـ

د / عبد المهيمن عبد السلام طحان



تمهيد:

أولاً: من المسلم به ابتداءً أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

ثانياً: وأن الداعية الناجح لا بد أن يتمتع بقسط من الإيمان وافر، وأن يكون لإيمانه من القوة نصيب كبير. وهذا يعني أن الداعية إلى الإسلام ينبغي أن يحرص على الاجتهاد في طاعة الله تعالى، لكي يوالي شحن بطارية الإيمان، وتزويدها بالطاقة المستمرة، التي لا تنضب في أثناء الطريق، طريق الدعوة، خلال مكابدة المشاق، والتصدي للمكائد، والصبر في وجه الأذى، واحتمال المتاعب، والمصابرة للتغلب على نزغات الشيطان، والاستعلاء على هوى النفس، ورغبتها في الشهوات والمحرمات.

والداعية ينبغي أن يحذر من المعاصي ما وسعه الحذر، لأن المعاصي تنقص الإيمان وتضعفه، وهي حجاب بين المؤمن وربه، مصدر عونه وتأييده، وتسديده ونجاحه في طريق الدعوة.

وثالثاً: فإن على الداعية أن يطهر قلبه من الأمراض، وسلوكه من الانحراف، وخلقه من الفساد، لأن أمراض القلب تجعله تربة غير صالحة لإنبات بذرة الإيمان، ونمو شجرته الطيبة، باسقة الأغصان، وارفة الظلال. بل إن بعض الأمراض سبب للطبع على قلب صاحبها، والختم

بالتذكير. فأمراض القلب خطيرة على الإيمان، تسبب ضعفه وذبوله، وربما أدت في النهاية إلى خروج الإيمان من القلب، نعوذ بالله من ذلك.

وكذلك انحراف السلوك وفساد الخلق كل منهما له أثر بالغ في ضعف الإيمان وذبوله، لما بين الإيمان والسلوك من ارتباط وثيق، وما بين الإيمان والخلق من صلة متينة.

وتحت عنوان ضعف الإيمان، يجمل بنا أن نبحث جملة أمور، تسبب ضعف الإيمان، وهي بهذا الاعتبار يمكن أن ينظر إليها على أنها أسباب لضعف الإيمان، ولكن يمكن أن ينظر إليها من زاوية أخرى على أنها مفرزات لحالة ضعف الإيمان، فتكون بذلك جديرة بوصف النتائج والثمرات. كما أننا يمكن أن ننظر إليها من زاوية ثالثة باعتبارها مظاهر لضعف الإيمان، وعلامات تدل عليه.

هذه الاعتبارات الثلاثة لا يمكن الفصل بينها فصلاً كاملاً، لأن بينها قدراً غير يسير من التداخل والتواصل في باب ضعف الإيمان. فحب الدنيا مثلاً: يمكن أن ننظر إليه باعتباره سبباً لضعف الإيمان، لأن الإقبال على الشهوات والمعاصي يسبب ضعف الإيمان، كما يمكن اعتبار حب الدنيا نتيجة من نتائج ضعف الإيمان، لأن المسلم الذي

يضعف إيمانه يفقد قدرا كبيرا من حصانته تجاه مغريات الدنيا، فينزلق إلى مهاويها. وأخيراً يمكن اعتبار حب الدنيا مظهراً من مظاهر ضعف الإيمان، حيث يستدل بحب الدنيا على ضعف الإيمان. وهكذا الحال مع بقية الأمور مما سيأتي تحت عنوان أسباب ضعف الإيمان، كاتباع الهوى، والإصغاء لوسوسة الشيطان وغيرها، تتجاذبها الاعتبارات الثلاثة السابقة، ولكني آثرت أن أضعها تحت عنوان (أسباب ضعف الإيمان)، لأن هذا الوصف بها أليق، وهي به أخلق، وهذا اجتهادي، والله المستعان.

الفصل الأول: أسباب ضعف الإيمان

المبحث الأول: مرض القلب.

المبحث الثاني: اتباع الهوى.

المبحث الثالث: الإصغاء لوسوسة الشيطان.



المبحث الأول

مرض القلب

مرض القلب أهم أسباب ضعف الإيمان، لأن القلب السليم يستطيع التعالي على الشهوات، والتسامي عن الانزلاق إلى مهاويها، أما القلب المريض فيتضاعف أثر الهوى والشهوات عليه، إذ ليس له طاقة بمقاومة إغراءاتها، ولا له قوة على التصدي لجاذبيتها. وهو ما يفهم من قول الله جل وعلا: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. أي شهوة الزنا، كما قال عكرمة[١]. وكذلك الشأن في التعرض لوساوس الشيطان وتزيينه، فإن القلب العليل أقرب إلى الوقوع في حبائل الشيطان، وأكثر قبولاً لما يلقي عدو الله تعالى من الشبه والضلالات، وهو ما يفيده قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].

وأمراض القلب متعددة، منها النفاق، والكبر، والعجب، والحسد، والبغضاء، والرياء، وغيرها كثير. فإذا أصيب قلب المؤمن بواحد أو أكثر من هذه الأمراض، أدى ذلك إلى ضعف الإيمان في قلبه، لذلك فإن على الداعية أن يحرص

---

(١) أنظر تفسير الطبري ٢٠/٢٥٨. وتفسير ابن عطية ١٢/٥٨. وتفسير القرطبي ٤/١٧٧.

على سلامة قلبه من الأمراض والأدواء التي تسبب ضعف إيمانه، وتعيقه عن أداء واجباته الدينية والدعوية على الوجه المطلوب. وسأقتصر في هذا المبحث على الحديث عن أهم أمراض القلب التي تصيب الدعاة، ويكون لها أثر كبير في تعويق الدعوة.

المطلب الأول: النفاق

النفاق من أخطر الأمراض التي تصيب القلب، فتورثه غفلة شديدة عن موعود الله جل وعلا للمؤمنين، ووعيده للكافرين، لذلك ترى صاحب هذا القلب المصاب يعمل أعمالاً تتنافى مع الإيمان، ولا تتلاءم مع مستلزماته في حياة المؤمن ومقتضياته.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: (والذي فسره به أهل العلم المعتبرون، أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه، وهو في الشرع ينقسم إلى قسمين:

أحدهما النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثـاني النفـاق الأصـغـر، وهـو نفـاق العـمـل، وهو أن يظهـر الإنسـان عـلانيـة صـالحـة، ويبطـن مـا يخـالـف ذلك)[1]. ا هـ.

والمراد هنا بمرض النفـاق، النفـاق الأصـغـر، الذي يؤدي إلى ضعف الإيمان، والذي يجعل المؤمن في سلوكه، أو أخلاقه، أو عبادته يتصف بصفات المنافقين كلها أو بعضـهـا، ولذلك سـمي نفـاق العـمل. وهو مـن الخطورة بمكان، لأنه إذا اشتد هذا المرض في القلب، وإذا استمر المؤمن في التخلق بأخـلاق المنافـقين، ربما أوصله ذلك إلى النفاق الأكبر، الذي يخرج صاحبه من الملة، فالنفاق الأصـغـر طريق النفـاق الأكـبـر، والذي يسـيـر على درب النفاق، ويتابع المسير، يخشى أن يصل إلى نهاية الطريق، فـيكون فـي عـداد أهل النار. قـال الحـافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: (والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر، فكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كـذلك يـخـشى على مـن أصـر على خـصـال النفـاق أن يسلب الإيمان، فيصير منافقاً خالصاً)اهـ[2].

وقـال الحـافظ ابن حـجـر رحـمه الله: (فـمن أصـر على

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٣٩٤.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٤.

نفاق المعصية خشي عليه أن يفضي به إلى نفاق الكفر) اهـ[1].

من هنا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشد الخوف والحذر من النفاق، وأخلاقه وسلوكياته،كما جاء في صحيح البخاري معلقاً بصيغة الجزم عن ابن أبي مليكة[2].

قال: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كلهم يخاف النفاق على نفسه)[3].

وأخرج أبو نعيم في حلية الأولياء بسنده عن أبي عثمان[4] اليشكري قال: (سألت أبا رجاء العطاردي[5] قلت: يا أبا رجاء أ رأيت من أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا يخافون على أنفسهم النفاق ؟ قال: أما إني أدركت بحمد الله منهم صدراً حسناً – قال أبو عثمان: وقد كان أدرك عمر بن الخطاب – فقال نعم شديداً، نعم شديداً)[6].

---

(١) فتح الباري ١/١١١.

(٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة بالتصغير المدني تابعي ثقة فقيه (ت/١١٧). أنظر التقريب ١/٤٣١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٤) هو سبيع ويقال خالد بن خالد البصري مقبول من الثانية. أنظر التقريب ١/٢٨٤.

(٥) هو عمران بن ملحان مخضرم ثقة معمر (ت/١٠٥). أنظر كتاب التقريب ٢/٨٥ .

(٦) حلية الأولياء ٢/٣٠٧، وانظر صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٢٢١.

(وسئل الإمام أحمد ما تقول في من لا يخاف على نفسه النفاق ؟ فقال: ومن يأمن على نفسه النفاق)[1].

لذلك فإن على الداعية أن يحذر أشد الحذر من صفات المنافقين وسلوكياتهم، ليبرأ من مرض النفاق. وصفات المنافقين كثيرة، ذكرت في الكتاب والسنة، ولكن أهمها بالنسبة لتعويق الدعوة خمس، جمعها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثين مشهورين: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) رواه الشيخان[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان) رواه الشيخان. زاد مسلم في رواية: (وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم)[3].

١ - الخيانة. ٢ - الكذب. ٣ - الغدر.

٤ - الفجور في الخصومة. ٥ - خلف الوعد.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٤.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٥٨) واللفظ للبخاري.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٣)، وصحيح مسلم برقم (٥٩).

هذه الصفات الخمس هي شر صفات المنافقين، وأعظمها ضرراً، وأشدها قبحاً ونكراً، و خاصة فيما يتعلق بتعويق الدعوة. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: (وأصول هذا النفاق - يعني الأصغر - ترجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث، وهي خمسة)[1]. ثم ذكر هذه الصفات.

١ - الخيانة:

قال في القاموس[2]: (الخون: أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح). ا هـ. والواجب على المسلم أن يكون أميناً، لأن الله تعالى أمر بأداء الأمانة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨]. ونهى عن الخيانة، فقال: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن ارتباط الإيمان بالأمانة ارتباط وثيق، بحيث لا يكون الإنسان مؤمناً إلا إذا كان أميناً، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه، قال: (ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له) رواه أحمد

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٣٩٤.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ١٥٤١.

وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط وابن حبان [1].

وبذلك نفهم أن الخيانة وهي نقيض الأمانة، ليست من صفات المؤمنين إنما هي صفة الكفار، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. وصفة المنافقين كما مر في الحديث الشريف.

وبدهي أن الذي يتصف بهذه الصفة القبيحة، لا يحبه الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. وقد كان النبي (يتعوذ بالله تعالى من هذه الصفة المنكرة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة) رواه أبو داود [2].

وبناءً على ما تقدم فإن الداعية ينبغي أن يكون أبعد الناس عن الخيانة، ليسلم له إيمانه، وهو أحق الناس بالالتزام بالأمانة، اقتداء بالداعية الأول، الذي اشتهر

---

(١) أنظر مجمع الزوائد للهيثمي ٩٦/١، وكشف الأستار برقم (١٠٠)، والإحسان برقم (١٩٤)، ونقل المناوي عن الذهبي قوله: سنده قوي. أنظر فيض القدير ٢٨١/٦.

(٢) سنن أبي داود برقم (١٥٤٧). قال النووي في رياض الصالحين ص٤٣٤: رواه أبو داود بإسناد صحيح وأنظر صحيح أبي داود للألباني برقم (١٣٦٨).

بالأمانة حتى لقب بالأمين، والذي أحبه الناس بسبب هذا الخلق، وأودعوا عنده أماناتهم، وإن لم يكونوا به من المؤمنين.

٢ - الكذب:

وهذه أيضاً ليست من صفات المؤمنين، كما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب) رواه البزار وأبو يعلى [(١)]. وحديث صفوان بن سليم قال: (قيل يا رسول الله أيكون المؤمن جباناً ؟ قال: نعم. قيل له: أيكون بخيلاً ؟ قال: نعم. قيل له: أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال: لا). رواه مالك في الموطأ مرسلاً [(٢)].

ونص القرآن الكريم على كون الكذب من صفات الكافرين، وذلك في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] وبين الله تعالى أن الكذب يورث صاحبه النفاق، وهذا أمر في غاية الخطورة، وذلك قول الله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٥٦٢/٣: رواه البزار وأبو يعلى ورواته رواة الصحيح، وذكره الدار قطني في العلل مرفوعاً وموقوفاً وقال: الموقوف أشبه بالصواب. ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعاً. وانظر مجمع الزوائد ٩٢/١. والعلل للدارقطاني رقم ٦٠٢.

(٢) الموطآ ٩٩٠/٢ قال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٥٤/٢٧: لا أحفظ هذا الحديث مسنداً من وجه ثابت وهو حسن مرسل.

وأشنع الكذب وأفحشه الكذب على الله تعالى بالابتداع في الدين ما لم يأذن به الله تعالى، وبتحريف الآيات عن معانيها، وإصدار الفتاوى الباطلة، كما قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن الكذب الشنيع الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع الأحاديث لترغيب الناس في الفضائل، وحثهم على العبادات، أو إذاعة هذه الأحاديث المكذوبة بين الناس. فعلى المسلم أن يحذر الكذب كله، حتى في المزاح، كما جاء في حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له). رواه أبو داود والترمذي[١].

٣ - الغدر:

وهو ضد الوفاء كما قال صاحب القاموس[٢]. وبينما نرى أن الوفاء من لوازم الإيمان ومقتضياته، كما أفاد ذلك حديث أنس رضي الله عنه المتقدم، وفيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا دين لمن لا عهد له)[٣]. أي لا يوفي

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٩٠)، وجامع الترمذي برقم (٢٣١٥). وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وأنظر الترغيب والترهيب للمنذري برقم (٤٣٤٤).

(٢) القاموس المحيط ص٥٧٦.

(٣) تقدم ص١١.

بعهده ولا يلتزم به. نجد أن الغدر - ويتضمن نقض العهود- أحد أبرز صفات المنافقين كما تقدم، وهو من أوصاف الكافرين كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

لذلك كانت دعوة القرآن الكريم للمؤمنين للالتزام بخلق الوفاء، والتحذير من الغدر متكررة، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

وفي السنة تحذير شديد من الغدر، بعد بيان أنه من صفات المنافقين، ومن ذلك حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان) رواه البخاري ومسلم[1].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣١٨٨)، ومسلم برقم (١٧٣٥) واللفظ له.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (ويدخل في العهود التي يجب الوفاء بها، ويحرم الغدر فيها جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها، من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة، التي يجب الوفاء بها، وكذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل مما يعاهد العبد ربه عليه، من نذر التبرر ونحوه)[١]. اهـ.

فعلى المسلم أن يحذر من الغدر ليسلم له إيمانه، وعلى الداعية أن يكون أكثر حذراً من هذا الخلق الذميم، الذي ينفر الناس، ويصدهم عن سبيل الهدى.

٤ - الفجور في الخصومة:

قال الحافظ ابن رجب: (ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً، حتى يصير الحق باطلاً والباطل حقّاً، وهذا مما يدعو إليه الكذب، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار)[٢]. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[٣]. قال: فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة - سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا - على أن ينتصر للباطل،

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٠.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٤٥٧)، ومسلم برقم (٢٦٦٨).

ويخيل للسامع أنه حق، ويوهن الحق، ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرمات، ومن أخبث خصال النفاق)[1] اهـ.

وهذا الإنسان الذي يختلق الكذب، ويفتري الباطل، ليؤيد موقفه في الخصومة، ويدعم مطالبه، غير عابئ بما يحتمه عليه الإيمان من أخلاق وسلوكيات، لا ريب أنه ضعيف الإيمان جداً، واهي اليقين بالآخرة، وبالوقوف بين يدي الله جل وعلا للحساب والجزاء.

وهذه الصفة أيضاً مما ينفر الناس عن الداعية، ويفرق جمعهم من حوله، فيغدو الداعية إذا اتصف بها منفراً عن الدين لا مبشراً، ومفرقاً للناس لا مجمعاً.

٥ - خلف الوعد:

قال الحافظ ابن رجب: (وهو على نوعين: أحدهما أن يعد، ومن نيته أن لا يفي بوعده، وهذا أشر الخلف، ولو قال أفعل كذا إن شاء الله تعالى، ومن نيته أن لا يفعل كان كذباً و خلفاً، قاله الأوزاعي[2]. الثاني: أن يعد ومن نيته أن يفي، ثم يبدو له فيخلف من غير عذر له في الخلف)[3] اهـ.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٣٩٦ - ٣٩٨.

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو أبو عمرو الأوزاعي من أتباع التابعين إمام في الفقه والحديث (ت/١٥٧). انظر ترجمته في التقريب ١/٤٩٣.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/٣٩٤ - ٣٩٥.

وخلف الوعد خلق ذميم، له آثار خطيرة في إشاعة العداوة، وفقدان الثقة والمحبة فيما بين المؤمنين، وفي تفكيك الروابط، وتقطيع الأواصر الأخوية فيما بينهم. لذلك فلا عجب أن يرد على لسان النبي عليه الصلاة والسلام هذا التحذير من خلف الوعد. فالمسلم إذا كان لا يريد الوفاء لا ينبغي له أن يعد أصلاً. فإذا وعد كان عليه الالتزام بالوفاء بما وعد، ومما يؤسف له أشد الأسف أن هذا الخلق شاع بين المسلمين، بل وبين الدعاة أيضاً، فبعض الناس يعد ويمني محدثه، وهو لا يريد بذلك وفاء، ولا عطاء، ويظن ذلك من لطف المعاشرة، أو حسن التخلص من المواقف المحرجة، أو ما أشبه ذلك، بينما هو في الحقيقة خلق ذميم من أخلاق المنافقين.

وبعد، فهذه الصفات الخمس، هي الأصول التي يرجع إليها النفاق العملي، وإن كان للمنافقين في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام صفات غير هذه كثيرة، مثل التحاكم إلى الطاغوت، والتكاسل عن أداء الصلوات، والإفساد بين المؤمنين، والحرص على المصالح المادية، والتهرب من تكاليف الجهاد في النفس والمال، وعدم قبول النصح، وغير ذلك من الصفات القبيحة، التي يجب على كل مسلم أن يحذرها، ويجب على الدعاة على وجه الخصوص أن يكونوا أكثر حذراً منها، وأشد بعداً عنها

ليسلموا من مرض النفاق، وتبرأ قلوبهم من شروره وآثامه.

المطلب الثاني: قسوة القلب

١ - المراد من قسوة القلب:

قال القرطبي: (القسوة الصلابة والشدة واليبس، وهي عبارة عن خلوها (القلوب) من الإنابة والإذعان إلى آيات الله)[١].

وقال أبو السعود: (والقسوة عبارة عن الغلظ والصلابة كما في الحجر، استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع)[٢].

وقال الرازي: (القلب من شأنه أن يتأثر عن مطالعة الدلائل والآيات، والعبر، وتأثره عبارة عن ترك التمرد، والعتو، والاستكبار، وإظهار الطاعة والخضوع لله، والخوف من الله تعالى، فإذا عرض للقلب عارض أخرجه عن هذه الصفة، صار في عدم التأثر شبيهاً بالحجر، فيقال: قسا القلب وغلظ، ولذلك كان الله تعالى وصف المؤمنين بالرقة فقال: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣])[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ١/٤٦٢.

(٢) تفسير أبي السعود ١/١١٤.

(٣) تفسير الرازي ٢/١٣٧.

٢ - خطورة مرض قسوة القلب:

مرض قسوة القلب خطير جداً، يداني بخطورته مرض النفاق ويقاربه، لما يترتب على قسوة القلب من أضرار عظيمة، وآثام جسيمة، نطق بها كتاب الله جل وعلا، في مواضع من سوره الكريمة.

ولقد عاتب ربنا جل وعلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذرهم من قسوة القلوب، التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلهم، فأورثتهم الفسوق عن أوامر الله. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] إلا أربع سنين. رواه مسلم [(١)].

وتوعد ربنا جل وعلا أصحاب القلوب القاسية بالويل، فقال جل وعلا: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (ومعنى من ذكر الله أن قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره. وقيل إن من

---

(١) صحيح مسلم برقم (٣٠٢٧).

بمعنى عن، والمعنى قست عن قبول ذكر الله، وهذا اختيار الطبري)[1] ووصف ربنا جل وعلا اليهود بقسوة القلوب، فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]. وكل ما جاء في كتاب الله تعالى في معرض ذم اليهود من أوصاف، ينبغي أن يحذره المسلم أشد الحذر، ويجتهد في البعد عنه ما وسعه الاجتهاد، لأن اليهود انتهى أمرهم إلى أن غضب الله عليهم ولعنهم وضرب عليهم الذلة والصغار في الدنيا، وأعد لهم في الآخرة عذاباً عظيماً.

وبين ربنا جل وعلا في كتابه، أنه قضى على بني إسرائيل بقسوة قلوبهم، بسبب نقضهم ميثاقهم مع ربهم جل وعلى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. قال مالك بن دينار: (ما ضرب عبد بعقوبة أقسى من قسوة قلب)[2].

ومن خطورة مرض قسوة القلب، أنه يحمل صاحبه على الموبقات، مثل تحريف الكلم عن موضعه ونسيان أوامر

---

(١) تفسير القرطبي ٢٤٨/١٥.

(٢) المصدر السابق. ومالك بن دينار تابعي مشهور بالزهد والعبادة، وفي الحديث صدوق. (ت/ ١٣٠). أنظر ترجمته في التقريب ٢٢٤/٢.

الله جل وعلا، والتلبس بالخيانة أبداً، لا يكاد يتحرر منها. كما قال ربنا جل وعلا في بيان نتائج قسوة[1] القلوب التي عوقب بها بنو إسرائيل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وتحريف الكلم عن مواضعه يحتمل التأويل الباطل، ويحتمل تغيير اللفظ، ومال الرازي إلى أن الأول أولى[2]. ومعلوم أن تحريف اللفظ لا يكون في هذه الأمة، لأن الله جل وعلا تولى حفظ كتابه من التغيير والتبديل. والذي يكون في قساة القلوب من هذه الأمة، هو تحريف المعنى، بتأويل الآية على غير المراد منها، طمعاً في شيء من متاع الدنيا.

ومن أخطار قسوة القلب، أنها تحرم صاحبها من التضرع إلى الله تعالى عند الشدائد، ونزول البلاء، وبذلك يخسر طوق النجاة الوحيد في ذلك الوقت، ويتأهل للعذاب. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) أنظر تفسير الرازي ٦/١٩١.

(٢) المصدر السابق.

وأخيراً فإن من أخطار قسوة القلب، أنها تؤهل القلب لسرعة التأثر بالفتن، تماماً كفعل النفاق به، كما قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].

والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون [١].

٣ - أسباب قسوة القلب:

لقسوة القلب أسباب ثلاثة:

أ - نقض ميثاق الله تعالى، بترك طاعته التي أوجبها على عباده، وبارتكاب معصيته التي حرمها عليهم. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

ب - طول الأمد كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وفي تفسير الرازي: (ذكروا في تفسير طول الأمد وجوهاً، أحدها: طالت المدة بينهم وبين أنبيائهم، فقست قلوبهم).

---

(١) انظر تفسير الرازي ٥٦/١٢، والدر المنثور للسيوطي ٦٩/٦.

وثانيها قال ابن عباس: مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله.

وثالثها: طالت أعمارهم في الغفلة، فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب.

ورابعها: قال ابن حبان: الأمد هاهنا الأمل البعيد، والمعنى على هذا طال عليهم الأمد بطول الأمل، أي لما طالت آمالهم لا جرم قست قلوبهم.

وخامسها: قال مقاتل بن سليمان[1]: طال عليهم أمد خروج النبي عليه السلام.

وسادسها: طال عهدهم بسماع التوراة والإنجيل، فزال وقعهما عن قلوبهم، فلا جرم قست قلوبهم[2]. ولا تناقض بين هذه الأقوال، لأن كلاً منها يسلط الضوء على جانب من حقيقة طول الأمد، أو لازم من لوازمها، وأقربها إلى بيان حقيقة طول الأمد القول الثالث[3] والله أعلم.

ج - كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى، كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله تعالى

---

(١) كان بحراً في التفسير (ت/ ١٥٠). طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٣٣٠.

(٢) تفسير الرازي ١٥/ ٢٣٠.

(٣) أنظر تفسير الكشاف للزمخشري ٤/ ٦٤، وتفسير أبي السعود ٨/ ٢٠٩.

القلب القاسي) رواه الترمذي[1].

وذلك أن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى سبب للوقوع في الآثام الكثيرة، والمعاصي العديدة، كالغيبة والنميمة، والسب والسخرية، والفحش والبذاء وغير ذلك مما يطول ذكره، ومعلوم أن كثرة المعاصي سبب للطبع على قلب صاحبها، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: رواه الترمذي، والحاكم)[2].

ومن هنا نفهم شدة التحذير من آفات اللسان، في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام. قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما

---

(١) جامع الترمذي برقم (٢٤١١)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) جامع الترمذي برقم (٣٣٣٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، والمستدرك للحاكم ٥١٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي.

يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب) رواه البخاري ومسلم[1].

وعن أبي هريرة أيضاً، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت) رواه البخاري ومسلم[2].

وعن معاذ رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) رواه الترمذي[3].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيرة، وكلها تحذر من أخطار اللسان، والعواقب السيئة، المترتبة على إطلاقه بكثرة الكلام، دون ضوابط ولا حساب.

فعلى الداعية المسلم أن يحذر أشد الحذر من أسباب قسوة القلب، ويجتنبها بكل طاقته، لئلا يصاب بهذا المرض الخطير، الذي يترتب عليه أشنع العواقب، وأوخم النتائج، كما سبق بيان ذلك.

وأخيراً فالنبي صلى الله عليه وسلم يصف الدواء التالي للعلاج في حالة قسوة القلب، وهو ما جاء في حديث

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٧٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨).

(٢) صحيح البخاري برقم (٦١٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٤٨).

(٣) جامع الترمذي برقم (٢٦١٦) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وأنظر صحيح الجامع برقم (٥١٣٦)

أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه، فقال له: (إن أردت أن تلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم رواه أحمد)[1].

فإطعام المساكين، والعطف على الأيتام، وملاطفتهم ورحمتهم، دواء لقسوة القلوب، حيث يجزي ربنا جل وعلا على إطعام المسكين، والعطف على الأيتام بالشفاء من قسوة القلب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. وهذا العلاج سهل ميسور لكل من وفقه الله تعالى، وألهمه رشده وصوابه.

المطلب الثالث: الكبر والعجب

١ – حقيقة الكبر والعجب والعلاقة بينهما:

في القاموس المحيط: (الكبر العظمة والتجبر)[2]، و (العجب: الزهو والكبر)[3]. جعلها كالمترادفين ولم يذكر فرقاً بينهما. لكن العلماء يفرقون بينهما. قال الغزالي في الإحياء: (اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر، فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن

---

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٦٣. وأنظر مجمع الزوائد للهيثمي ٨/١٦٠، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

(٢) القاموس المحيط ص٦٠٢.

(٣) القاموس المحيط ص١٤٤.

الجوارح، واسم الكبر بالخلق الباطن أحق، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق.

وخلق الكبر موجب للأعمال، ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر، وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق الذي في النفس، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به، وبه ينفصل الكبر عن العجب، فإن العجب لا يستدعي غير المعجب)[1]. اهـ.

ثم قال: (العجب هوا استعظام النعمة، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم)[2]. اهـ.

والعجب هو المقدمة التي توصل صاحبها إلى الكبر، قال الغزالي: (ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر، فإنه إذا أعجب بنفسه، وبعلمه، وبعمله، أو بشيء من أسبابه، استعظم وتكبر)[3] اهـ.

وكلام الغزالي هذا يدل على التلازم بين العجب والكبر، لأن العجب سبب الكبر. هذا، وجاء في السنة

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٣٤٣ - ٣٤٤.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/٣٧١.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/٣٥٣.

تعريف الكبر بأنه بطر الحق وغمط الناس، وذلك في حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم[1].

قال الحافظ المنذري: (بطر الحق هو دفعه ورده على قائله، وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم)[2].

وهو المعنى الظاهر للكبر عند الغزالي، الذي هو ثمرات الكبر، والأعمال التي تنتج عن الكبر الباطن. والمعنيان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

وهذا الحديث الشريف يفيد أن الكبر ليس بلبس الثياب الجميلة، ولا بالحرص على جمال المظهر، فإن ذلك شيء حسن يحبه الله تعالى في عبده، إنما الكبر رفض الخضوع لأحكام الشريعة، والتعالي على عباد الله تعالى واحتقارهم.

٢ - خطورته:

الكبر مرض في القلب خطير، وهو ذو أثر عل صاحبه وبيل، لأنه سبب الطبع على القلب، كما قال تعالى:﴿ الَّذِينَ

---

(١) صحيح مسلم برقم (٩١).

(٢) أنظر الترغيب والترهيب للمنذري ٣/٥٤١.

يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. فلا يصل الخير والهدى والنور إلى قلب المتكبر، ويصرفه الله عن تدبر دلائل التوحيد، وآيات الهدى، ومواعظ القرآن، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

والكبر يحمل صاحبه على رفض الحق، رغم وضوح الدليل وسطوع البرهان، ورغم اليقين التام بالحق، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

ومن أخطر ما في الكبر من الشر أنه يمنع صاحبه من دخول الجنة، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) رواه مسلم.

قال الغزالي في الإحياء: (وإنما صار حجاباً دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز، ولا يقدر على التواضع - وهو

رأس أخلاق المتقين - وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز، ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز، ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز، ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز، ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز، ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز، ولا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز، ولا معنى للتطويل، فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه، فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه)[1]. اهـ.

ويضاف إلى ما ذكره الغزالي أن الكبر فيه منازعة لله عز وجل فيما هو من صفاته الخاصة به جل وعلا، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٧]. أي الكبرياء له وحده كما يفيده تقديم الجار والمجرور.

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبته) رواه مسلم[2].

٣ - عقوبته:

الكبر شر مرض يصاب به قلب المؤمن بعد النفاق،

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٢٠).

لذلك كان حرياً بكل مسلم أن يبتعد عنه. وجدير بالدعاة على وجه الخصوص الحذر منه أشد الحذر، ليسلموا من العقوبة المترتبة عليه في الدنيا والآخرة. فأما في الدنيا فإن من عقوبة المتكبر الذلة والهوان، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من آدمي إلا في رأسه حَكَمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك أرفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته) رواه الطبراني[1].

أما الخاضعون لجلال الله تعالى، المتواضعون لعباده، فإن الله تعالى يرفع أقدارهم بين الناس، ويعلي مكانتهم بين العباد، كما أفاده الحديث السابق، وكما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[2] رواه مسلم.

ومن عقوبة المتكبر والمعجب بنفسه تعرضه للعذاب الأليم في الدنيا، بمثل ما قص علينا القرآن الكريم، من أخبار المتكبرين في الأمم الغابرة، وهو في آيات القرآن الكريم كثير. وجاء في السنة عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) المعجم الكبير برقم (١٢٩٣٩). قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٥٣٣) (رواه الطبراني، ورواه البزار بنحوه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسن والحكمة بفتح الحاء والكاف هي ما تجعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه). اهـ. وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٥٣٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٨).

عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه،مرجل جمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة) رواه البخاري ومسلم[1].

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم) رواه الترمذي[2].

وأما في الآخرة فإن عقوبة المتكبر أشد وأبقى، حيث يحشر في صورة مهينة ذليلة،

يحشر في صورة الذر، يطؤه الناس، إذلالاً له، جزاء تكبره في الدنيا على عباد الله، وإعجابه بنفسه، وترفعه عليهم، كما جاء في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولَس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار، طينة الخبال). رواه الترمذي[3].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٧٨٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٠٨٨).

(٢) جامع الترمذي برقم (٢٠٠٠) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال الحافظ المنذري: قوله يذهب بنفسه أي يترفع ويتكبر. الترغيب والترهيب ٣/٥٤٥.

(٣) جامع الترمذي برقم (٢٤٩٢) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي الترغيب والترهيب: (رواه النسائي والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن. قال: بولس بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة) ٣/٥٤١.

وإذا جاء المتكبر أو المعجب بنفسه المحشر لقي ربه وهو عليه غضبان، لما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله تبارك تعالى وهو عليه غضبان) رواه الطبراني وأحمد والحاكم[1] .

فما أجدر المؤمن بعامة والداعية بخاصة بالتواضع لإخوانه واحترامهم، والخضوع لأحكام دينه، ليبرأ من الكبر وعواقبه الوخيمة، بالإضافة إلى ما يسببه الكبر من نفرة الناس، وتفرقهم عن الداعية المتكبر، فيكون فاشلاً في دعوته، ولا يعود على الدعوة من نشاطه إلا الخيبة والتأخر والتعويق.

المطلب الرابع: الحسد والبغضاء

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين[2] . وهو مرض في القلب مذموم، لأن فيه اعتراضاً على قضاء الله تعالى، وتسخطاً على حكمته في التوزيع. وهذا ينافي مقتضيات الإيمان، فالإيمان يقتضي الاستسلام لقضاء الله تعالى، والرضى بحكمه، والإقرار بحكمته في توزيع النعم والمواهب على عباده. ثم إن الحسد ينافي مقتضيات

---

(١) مسند أحمد ١١٨/٢، ومستدرك الحاكم ٦٠/١ وصححه ووافقه الذهبي، وأنظر مجمع الزوائد للهيثمي ٩٨/١، وقال: رواه الطبراني في الكبير واللفظ له ورواته محتج بهم في الصحيح.

(٢) أنظر إحياء علوم الدين للغزالي ١٨٩/٣، وفيض القدير للمناوي ٤١٤/٣.

الإيمان من ناحية ثانية، فالإيمان يقتضي أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه، والحسد ينافي ذلك. وتشترك البغضاء مع الحسد في منافاة مقتضيات الإيمان من هذه الحيثية.

والصلة بين البغضاء والحسد صلة وثيقة، فهما متلازمان، لأن البغضاء أقوى أسباب الحسد وأشدها [1]. لذلك نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم (جمع بين الحسد والبغضاء في التحذير منهما، فقال: (دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر. والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) رواه أحمد والترمذي والضياء والبزار [2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى) رواه مسلم [3].

---

(١) أنظر إحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٩٢.

(٢) أنظر فيض القدير ٣/٥١٦، قال المناوي: قال الهيثمي كالمنذري سنده جيد. وانظر الترغيب والترهيب برقم (٤٢٥٨). قال المنذري (٣/٥٢٧) رواه البزار بإسناد جيد والبيهقي وغيرهما. وأنظر مجمع الزوائد ٨/٣٠.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٩).

ولما كان الحسد ينافي مقتضيات الإيمان، فقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه لا يجتمع مع الإيمان في قلب العبد، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله و فيح جهنم، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد) رواه ابن حيان والنسائي[1].

والحسد من صفات اليهود كما جاء في مواضع من كتاب الله تعالى، منها قوله جل وعلا: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]. فالواجب على الداعية المسلم أن يتنزه عن هذه الخصلة الذميمة، وأن ينظف قلبه من الحسد، ويطهره من البغضاء، حتى يكون سليم الصدر، محباً لإخوانه، يريد لهم الخير والصلاح والرشاد.

وينبغي الاجتهاد في إزالة العداوة والبغضاء من القلوب، لأن البغضاء تحلق الدين، كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أعظم الخطر على إيمان الداعية. والبغضاء تحرم صاحبها من فضل الله تعالى بمغفرة الذنوب، كما جاء

---

(١) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه واللفظ له. وأنظر صحيح النسائي برقم (٢٩١٢)، وصحيح الجامع الصغير برقم (٧٦٢٠).

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم[1].

إن الله تعالى يحب لعباده أن يتحابوا لا أن يتباغضوا، لذلك فهو يغفر للمتحابين، ويظلهم يوم القيامة في ظله، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلّ إلا ظلي) رواه مسلم[2].

وسلامة القلب من الحقد والحسد، وطهارته من أي غش للمسلمين باب من أبواب الجنة، كما جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٦٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٦٦).

وسلم مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول. فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو، فقال: إني لا حيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟

قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدث، أنه بات معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه، وذكر الله عز وجل، وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مـــرات يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث المرّات، فأردت أن آوي إليك، فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق) رواه أحمد والنسائي وأبو يعلي[(١)].

(١) أنظر الزواجر لابن حجر ١/٥٦. قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٨٧/٣): رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٨/٨): رواه احمد والبزار بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح، وكذلك أحد إسنادي البزار إلا أن سياق الحديث لابن لهيعة.

ويؤكد النبي عليه الصلاة والسلام فضل سلامة الصدر من الحقد والحسد، ويعطي صاحب القلب النظيف مرتبة عالية سامقة يطمح إليها كل مؤمن، ويرغب فيها كل عاقل. وذلك فيما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (قيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان.قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب ؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد) رواه ابن ماجه[(١)] .

وفي هذا أبلغ العظة للدعاة، لكي يطهروا قلوبهم من الحسد، وينظفوها من البغضاء، فيكسبوا رضوان الله تعالى: ويفوزوا بجنته، وينجحوا في دعوتهم، وإلا فإن الفشل مصير مؤكد لكل داعية تملأ قلبه البغضاء، ويأكله الحسد.

وليس من الحسد أن يتمنى المؤمن مثل ما لأخيه من النعمة، دون تمني زوالها، ومن ذلك التنافس في المكرمات، فهو محمود، وفيه يقول عليه الصلاة والسلام: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي

---

(١) برقم (٤٢١٦) قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٤٠): هذا إسناد صحيح.

فلان، فعملت مثل ما يعمل) رواه البخاري ومسلم[1].

المطلب الخامس: الرياء

الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله تعالى[2]. فبدل أن يقصد الإنسان بالطاعة رضوان الله تعالى ومثوبته، يقصد المرائي رضاء الخلق، وثناء الناس عليه، وتحصيل المكانة والمنزلة في قلوبهم. وهذا مرض في القلب، وعلة فيه توجب ضعف الإيمان، لأن الرياء دليل على تعظيم المخلوقين ونسيان عظمة الخالق، وعلامة على رجاء النفع والضر من الناس، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، إنما الذي يملك النفع والضر هو الله وحده. ثم إن الرياء يؤدي إلى حبوط العمل، وبطلان ثواب العبادة، وبذلك يخسر المرائي نفع العبادة في تقوية الإيمان، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعة مع الرياء لا نفع فيها، والرياء بحد ذاته معصية كبيرة توجب ضعف الإيمان.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (واعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضاً، بحيث لا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٨١٥).

(٢) انظر إحياء علوم الدين ٣/٢٩٧.

قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٦]. وكذلك وصف الله تعالى الكفار بالرياء المحض في قوله: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٧]. وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة والحج وغيرهما من الأعمال الظاهرة، والتي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة. وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه أيضاً وحبوطه. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)[١]. وخرجه ابن ماجه ولفظه: (فأنا منه بريء وهو للذي أشرك)[٢]. وخرج النسائي بإسناد جيد، عن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه، (أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر؟ فقال

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٨٥).

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٤٢٠٢).

رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا شيء له، فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله: لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه)[(١)].

وخرج الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف الموقف أريد به وجه الله، وأريد أن يرى موطني، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزلت: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [**الكهف**: ١١٠][(٢)].

قال: ولا نعرف عن السلف في هذا خلافاً، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين. فإن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهاده ولم يبطل بالكلية. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم، فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم)[(٣)].

قال: وأما إن كان أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء فلا يضره، فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير

---

(١) سنن النسائي برقم (٣١٤٠). وأنظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٥٢).

(٢) المستدرك للحاكم ٢/١١١، وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي.

(٣) صحيح مسلم برقم (١٩٠٦).

خلاف، فإن استرسل معه فهو يحبط عمله أم لا يضره ذلك، ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري، وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروي عن الحسن البصري وغيره.

قال: وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج. فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة، والذكر وإنفاق المال، ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلى تجديد نية)[١] . اهـ

ومن أخوف ما جاء في الرياء وخطره، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمته فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت

(١) جامع العلوم والحكم ١/٣٨ - ٤١.

القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار) رواه مسلم[1].

قال الحافظ ابن رجب[2]: وفي الحديث أن معاوية لما بلغه هذا الحديث بكى حتى غشي عليه فلما أفاق قال: صدق الله ورسوله، قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود].

فعلى الداعية المسلم أن يطهر قلبه من الرياء، وأن يحرص على تصحيح نيته في أعماله وعباداته، فإن الله جل وعلا جعل الإخلاص شرطاً لا بد منه لرجاء النجاح والفلاح يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٩٠٥).

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٣٦.

ومما ينبغي التنبه له، أن الرياء المذموم هو ما كان في العبادات، وأما التزين والتجمل للناس، فليس من الرياء المحرم. قال الحافظ ابن حجر المكي في الزواجر [1]: (وقد يطلق الرياء على أمر مباح، وهو طلب نحو الجاه والتوقير بغير عبادة، كأن يقصد بزينة لباسه الثناء عليه بالنظافة والجمالة ونحو ذلك.. قال: وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد الخروج سوى عمامته وشعره، ونظر وجهه في المرآة. فقالت عائشة: أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال: نعم إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم [2]. نعم هذا منه صلى الله عليه وسلم عبادة متأكدة، لأنه مأمور بدعوة الخلق واستمالة قلوبهم ما أمكنه، إذ لو سقط من أعينهم لأعرضوا عنه، فلزمه أن يظهر لهم محاسن أحواله، لئلا يزدروه فيعرضوا عنه، لامتداد أعين عامة الخلق إلى الظواهر دون السرائر، فهذا قصده صلى الله عليه وسلم وفيه قربة أيّ قربة، ويجري ذلك في العلماء ونحوهم إذا قصدوا بتحسين هيئتهم نحو ذلك). ا هـ.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/٤٤.

(٢) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه ابن عدي في الكامل وقال: حديث منكر ١/١٣٧، ٣/٣٠٠ وأصل الكلام في إحياء علوم الدين ٣/٣٠٠.

المبحث الثاني: اتباع الهوى

المطلب الأول: الهوى لغة واصطلاحاً:

قال في القاموس المحيط: (الهوى بالقصر: العشق، يكون في الخير والشر، وإرادة النفس، والمهوي)[1]. اهـ

فالهوى يطلق في اللغة على ميل النفس للشيء، سواء كان هذا الميل شديداً إلى حد العشق، أو كان غير شديد. ويطلق الهوى أيضاً على الشيء الذي تميل إليه النفس.

وقال الحافظ ابن رجب: (والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق قال: وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره. وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد إليه.

قال: وقال عمر في قصة المشاورة في أسارى بدر: فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال أبو بكر ولم يهو ما قلت. وهذا الحديث مما جاء في استعمال الهوى بمعنى المحبة المحمودة)[2]. اهـ. وأما تعريف الهوى في الاصطلاح: فالكفوي في الكليات عرفه بقوله: (الهوى بالقصر ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير

---

(١) القاموس المحيط ص١٧٣٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٣٢٥ - ٣٢٦.

داعية الشرع)[1] وقال ابن الجوزي: (هو ميل الطبع إلى ما يلائمه)[2]. وسبق قول ابن رجب: (والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق). وهو أولى التعريفات بالقبول، لأنه أشملها، وأدلها على حقيقة الهوى. لأن الهوى يقسم إلى قسمين: الأول: هوى الشبهات، والمراد به التعلق بالبدع، وكل ما خالف شريعة الله تعالى وحكمه. ويقال لم ابتلوا به أهل الأهواء: كالجبرية، والقدرية، والروافض، وغيرهم. الثاني هوى الشهوات، والمراد به تعلق النفس بشهوات الدنيا ومفاتنها، كحب الجاه،

والمال، والنساء، والأولاد، واللهو واللعب وغيرها.

قال الحافظ ابن رجب: (فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه.. وكذلك البدع، إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء)[3]. اهـ. وكل من هوى الشبهات وهوى الشهوات يضر بإيمان العبد، والواجب على المؤمن أن يحب ما أحب الله ورسوله، ويكره ما كره الله ورسوله، ليكون

---

(١) الكليات ص٩٦٢.

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي /٣٥.

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/٢٢٤. وأنظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص٣٩.

هواه تبعاً للشريعة، وهو الذي يقتضيه الإيمان من العبد. قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

المطلب الثاني: خطورة اتباع الهوى على الإيمان:

اتباع الهوى ينقص الإيمان، وكلما أمعن العبد في اتباع هواه اشتد نقص إيمانه وضعفه، وما يزال العبد يلج في اتباع هواه حتى يصبح عبداً لهواه، فيخرج من الإيمان، ويخلع ربقة الإسلام من عنقه. وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه). رواه البزار والطبراني في الأوسط[1].

في كتاب الله تعالى تحذير من اتباع الهوى، وبيان مفصل لأضراره على إيمان العبد ودينه، ومن ذلك:

١ - اتباع الهوى يمنع صاحبه من العدل في الحكم والمعاملة، ويجره إلى الظلم والحيف والعدوان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا

---

(١) كشف الأستار برقم (٨٠). وأنظر مجمع الزوائد ٩١/١، وصحيح الجامع الصغير. برقم (٣٠٣٩) والصحيحة برقم (١٨٠٢).

تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء: ١٣٥].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (فاتباع الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق، وعلى الجور في الحكم، إلى غير ذلك)[1].

٢ - اتباع الهوى يجر صاحبه إلى الابتداع في الدين، أو اتباع البدع ومجانبة السنن، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]. فالآية الكريمة جعلت الهوى مقابلاً للوحي، فمن ترك وحي الله وشرعه واتبع هواه، فإنما اتبع بدعة وضلالاً.

٣ - اتباع الهوى يورث صاحبه الخذلان من الله تعالى، والحرمان من الهداية والتوفيق. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]. فبسبب اتباعه لهواه حرم هداية الله تعالى وتوفيقه.

قال ابن كثير في تفسير الآية: (أي لرفعناه من التدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي أتيناه إياها، ولكنه (أخلد إلى الأرض) أي مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها، وأقبل على لذاتها ونعيمها، وغرته كما غرت غيره، من غير

---

(١) تفسير القرطبي ٥/٤١٣.

أولي البصائر والنهى)[(١)] . اهـ

٤ - اتباع الهوى يحمل صاحبه على رفض الحق، والاستكبار عن اتباع الهدى، قال تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

٥ - ولذلك فلا عجب أن يقرر القرآن الكريم بعد ذلك، أن اتباع الهوى يفضي بصاحبه إلى الضلال عن سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦]. بل متبع الهوى أشد الناس ضلالاً، قال تعالى:فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠] .

٦ - وكثير من أتباع الهوى، يحملهم الهوى على الضلال، فلا يكتفون بضلال أنفسهم، إنما يضيفون إلى ذلك إضلال الآخرين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٧ - واتباع الهوى ظلم: ظلم للنفس بإضلالها وتعريضها للهلكة، وظلم للحق بتركه والإعراض عنه، قال تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٠.

أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

٨ - وأخيراً فإن اتباع الهوى قد ينتهي بصاحبه إلى الكفر، والخروج من دين الإسلام، وذلك حين يتمكن الهوى من صاحبه فيستعبده، ويغدو الهوى إلهاً يعبد من دون الله، كما قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣].
وبذلك يستحق عابد الهوى أن يختم على سمعه وقلبه، وأن يجعل على بصره غشاوة، فلا يسمع الموعظة، ولا يعقل النصح، ولا يرى دلائل التوحيد، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

المطلب الثالث: هوى الشبهات

هوى الشبهات سببه الرئيسي عدم الوضوح في فكر المسلم، والفهم المغلوط لجانب من جوانب الإسلام أو أكثر، وهو داء في قلب صاحبه، ونقص في فهمه، وبما كان ناتجاً عن التأثر بالشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام، أو عن رد الفعل عليها، فأعداء الدين يزينون للناس العلمانية، ويزخرفون لهم القومية، ويرغبونهم في الاشتراكية، فربما علق في فكر المسلم شيء من هذه الدعايات الباطلة.

وأعداء الدين يتهمون الدين بالرجعية، وبالحجر على الحرية الفكرية، وبالمثالية الخيالية، وبالكبت الجنسي، وبمعاداة المرأة، وتعطيل نصف المجتمع عن الإنتاج، وظلم المرأة بإباحة تعدد الزوجات، وغير ذلك من التهم الباطلة، والأوصاف الظالمة، وبعض الدعاة حين يسمع هذه الأكاذيب قد يتأثر ببعضها، أو يحاول أن ينفي عن الإسلام ما يلصقه به أعداؤه، فيلجأ إلى تأويل النصوص الشرعية، وتحريف الأحكام، أو نفي بعضها، فإذا ذكر بخطأ ما فعل، ركب رأسه، واتهم الناصح بالجهل والغباء، واستمر في اتباع هواه.

وبعض الدعاة لم يتلقّ العقيدة من مصادرها الصحيحة، ومعينها الصافي (الكتاب والسنة)، فكان في فهمه لجوانب من الإسلام غش أو التباس، نتج عنه

انحـراف في سلوكـه، فـإذا قـيض الله لـه النـاصـح الأمين، الذي يبين الصـواب من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، أصر على مـا هو فيـه، وتمسك بفهمـه الخاطئ، وبالتالي بسلوكه المنحـرف، وهو يحسـب أنه يحسـن صنعاً.

ومـثـال ذلك من الدعـاة من تـأثر بـالفكر الإرجـائي، فـضـعف اهتـمـامـهم بالأعـمـال، أو تـأثروا بفكـر الخـوارج فكفـروا عـامـة المسلمين، أو تـأثروا بالفكـر المعتـزلي فـأفنوا أعـمـارهم في تُرّهـات علم الكلام، وأضـاليل الفلسـفـة، أو تأثروا بـالفكر الصـوفي فـاجتـهـدوا في عـبـادات مـبـتـدعـة، وزهدوا في كثيـر ممـا أوجبـه الإسـلام من نشـاطات الحيـاة الدنيـا، أو التجـئوا إلى القبـور والمقـامات، يطلبـون الشـفـاعـة والوسيلة، وأحياناً تفريج الكربات وحل المعضلات.

إن الإصـرار على أي شـيء ممـا سـبق بعـد بيـان الحق، ووضـوح البرهـان هو اتباع لهـوى الشـبـهـات، وهـو سـبب قـوي من أسبـاب ضـعف الإيمان ونقصـه.

وأجـد من المفـيـد هنا نقل فـقـرات من كـلام الشـيـخ مـحـمـد الغـزالي في كتـابه (ليس من الإسـلام)، فيـهـا زيادة إيضـاح، وفـضـل بيـان لما أريد من ذكـر أمـثلة تعـرف بهـوى الشـبـهـات. يقـول: (إن الخـلاف الذي أداره علمـاء الكلام الأقدمـون حول علاقـة الأسـبـاب بالمسببات نضح سمّاً قـاتلاً على أفكار المسلمين ومشـاعرهـم... قـال هؤلاء: إن النـار لا

تحدث الاحتراق بنفسها، ولكن يحدثه الله عند قربها. وكذلك الماء لا يحدث الري، والسكين لا تحدث القطع. ثم اطرد الكلام على هذه الوتيره، ينكر طبائع الأشياء التي أوجدها الله فيها .. إن عوام المسلمين سقطت نظرتهم إلى قيمة السبب في ذاته، بعدما شاع في أوساطهم أن أثره الطبيعي باطل. وعلق بأذهانهم أن النتائج المرجوة منه قد تقع عند وجوده، وقد تتحقق من تلقاء نفسها)[1].

(شر ما رمي الإسلام به - في الغارة الأخيرة على أرضه - هذا التمزيق الذي فرق بين أهله وجعلهم شيعاً متناكرة، وخلق من بلادهم إمارات وممالك يدهشك عدها، ويثيرك إحصاؤها .. والبلية المختفية وراء هذه المأساة، هي إحياء النزعات القبلية، والعصبيات القومية الضيقة، إن الجرح الذي نفذ إلى أحشاء الإسلام، جاء من هذا الداء.

١ - إن العودة بالإنسان إلى آفاق الجاهلية الأولى، في التعصب الأعمى للوطن واللون والدم، ضرب من الوثنية الطائشة، لا يجمل بنا.

٢ - إن هذه العودة خسارة محققة للإسلام وأهله، وربح مؤكد للغزو الأوربي الحديث)[2]

(في زورة قريبة للسودان، رأيت في أعقاب الجمع

---

(١) ليس من الإسلام ص١٨٢ - ١٨٣.

(٢) ليس من الإسلام ص١٩٥ - ١٩٦.

جماهير من أتباع الطرق الصوفية المختلفة، يعالجون هذه الطقوس الخرافية بإجلال واستغراق، ورأيت الشبان والشيب يقطر العرق من جباههم وجسومهم، لطول ما يقفزون ويهتزون، يمنة ويسرة، وينعقون بألفاظ يحسبونها ذكراً لله، وما هي إلا النسيان التام، والحجاب الغليظ.

فلما خرجت من المسجد - حيث هذه الصورة المنكرة- واحتوتني ميادين العاصمة المثلثة،

شاهدت أبناء الفرنجة مقبلين على الحياة في عزم وأمل، يديرون المتاجر السامقة، وتسيل الثروة والقوة والجمال من بين أيديهم، ومن خلفهم.. وتساءلت ماذا كان على هؤلاء المصلين بعدما فرغوا من الجمعة، لو خرجوا لينتشروا في الأرض، ويبتغوا من فضل الله، كما أمرهم الله ؟ إن الذين ابتدعوا هذه (الأذكار) أضلوا المسلمين ضلالاً مزدوجاً. أضلوهم إذ أضافوا إلى ما شرع الله هذه الزيادات المتخمة السامة. وإذ صرفوا الهمم عن أعمال أخرى، كان الإقبال عليها أرجا في دين الله، وأدنى إلى نفع الناس)[1].

(إن الخطأ في فهم معنى العبادة مال بحضارتنا وثقافتنا عن السداد، وجعلنا نفهم الجهل علماً، والعلم جهلاً، وكان لذلك أثره الحاسم فيما أصاب أمتنا من

---

(١) ليس من الإسلام ص١٩٥ - ١٩٦.

انهيار. وفي الأيام الأخيرة رأيت بعض الشباب المتدين، يكاد يسلك هذه الطريق الجائرة. فهو يحسب مظهر إخلاصه لله - إذا انضم لجماعة من هذه الجماعات الإسلامية - أن يحترف الوعظ والإرشاد، وأن يدأب على قراءات مطولة في كتب التفسير والفقه وما إليها، وقد يكون بعد ذلك طبيباً فاشلاً أو مهندساً هزيلاً.. !! ليت شعري ما الذي يصرف هذا الطبيب عن مهنته الجليلة !؟ وكيف لا يدري أن جراحة حسنة يقوم بها، أو دواء موفقاً يصفه هو من صميم (الصالحات) التي اعتبر الإسلام عملها ركناً في الفلاح وشرطاً للنجاح !! وأن هذا العمل لا يقل وزنه عن صلاة يقيمها، أو زكاة يؤديها)[١].

(أودع الله عز وجل في الأشياء خصائص لا تنفك عنها عادة. والناس في تعميرهم للأرض يتعرفون على هذه الخصائص لكل عنصر، وينتفعون بها جهد طاقتهم. وقد استطاعت الحضارة الحديثة أن تستكشف كثيرا من خواص المادة، و أن تستفيد منها في نواح شتى.. إن المؤمنين الذين يريدون - باسم التوكل - تجاهل هذه القوى والأسباب، يرتكبون هذه الجهالة من عند أنفسهم. أما الإسلام فهو منها بريء. إن هذا عمل يدل على نقص في

---

(١) ليس من الإسلام ص٢٠٩ - ٢١٠.

العلم، ولا يدل على زيادة في اليقين.. وقد تجد بعض الناس يتخذ من المصحف نفسه حجاباً يحسب أنه يقيه الإفلاس إن كان تاجراً، أو يرد عنه بطش الرؤساء إن كان موظفاً. وهذا تخبط سقيم، وإذا حسبه السذج إيماناً بالله وإجلالاً لكتابه، فهم واهمون. فصلة المسلم بالقرآن العظيم أن يتدبره ويعمل به. وإذا كان تاجراً أو موظفاً فنجاحه في عمله، أساسه الأول والأخير، أداء هذا العمل تامّاً لا يعيبه نقص، مستقيماً لا يزري به عوج.

وكل تفريط في هذا لا يجبره تعليق مصحف من حجم كبير أو صغير)[1].

(فعلى العباد أن يقصدوا ساحة الله سائلين. ولكن ليحذر امرؤ أن يفهم أن الدعاء يخرق سنن الله الكونية، أو يهدم قوانين الأسباب والمسببات. إن الأعزب لن يرزق ولداً ولو ظل يدعو ألف عام. وإجابة الله للدعاء تكون منه عز وجل بتوفيق الإنسان إلى الأخذ بالأسباب الصحيحة، ومنع العوائق التي قد تعترضها. فإذا كانت هناك أشياء تختص بها القدرة العليا، ولا يد للبشر فيها، فقد تكون الإجابة أن يتفضل الحق بإجرائها وفق ما تقتضي به حكمته ورحمته)[2].

---

(١) ليس من الإسلام ص١٧٨ - ١٨٠.

(٢) ليس من الإسلام ص١٨١.

المطلب الرابع: هوى الشهوات

اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يجبل نفوس الناس على حب الدنيا، والميل إلى شهواتها، كما قال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]. فمن الطبيعي أن تحب نفس الإنسان شهوات الدنيا، وترغب في الاستمتاع بها، وهذا شيء غير مذموم، لكن الشيء المذموم، والأمر المنكور، والخطر المحذور، هو شدة الميل إلى شهوات الدنيا، والانجراف وراء لذاتها، بحيث لا يملك الإنسان ضبط نفسه ونوازعها بضوابط الشريعة، فيتجاوز الحلال إلى الحرام، أو يتقاعس عن واجبات الدعوة، وعن فروض العبادة اشتغالاً بمتاع الدنيا، ولهواً بزخرفها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

فليس المتاع الحلال داخلاً في هوى الشهوات، ما لم يشغل صاحبه عن طاعة الله تعالى، وعن أداء فرائضه، وليس مطلوباً من المسلم أن يمنع نفسه مما أحل الله لها من شهوات الدنيا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [الأعراف].

ورؤوس شهوات الدنيا أربعة: النساء، والأموال، والأولاد، والجاه، وهي المذكورة في الآية السابقة ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[آل عمران:١٤].

وعلى الرغم من وجود شهوات أخرى في الدنيا، مثل شهوة الطعام والشراب، واللهو واللعب، وغير ذلك لكنها لا تبلغ مبلغ هذه الشهوات في التمكن من النفوس، وقوة الجذب والأسر، ولا مبلغها في التأثير على الدعاة. لذلك سأقصر الحديث في هوى الشهوات على رؤوسها الأربعة، التي هي أعظم الفتن وأكثرها تعويقاً للدعوة.

الفتنة الأولى: فتنة النساء

أ - المراد بفتنة النساء:

والمراد بفتنة النساء، أن يستجر الداعية هواه إلى ارتكاب ما حرم الله تعالى عليه، أو يقيم على الاستمتاع الحلال، بحيث يشغله عما أوجبه الله عليه، أما ما دون ذلك، فليس داخلاً في فتنة النساء، وليس المستمتع بالنساء في حدود الحلال، ودون أن يشغله عن الواجبات مفتوناً بالنساء.

فإمام الدعاة ورأس العباد، وقدوة الزاهدين، لم يجد حرجاً في أن يقول: (حبب إلي النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة) رواه أحمد والنسائي والحاكم عن أنس[(١)] . وعندما سئل (أي الناس أحب إليك ؟ قال: عائشة) رواه البخاري ومسلم[(٢)] .

ذلك أن الإسلام ليس فيه رهبانية النصارى، التي اخترعوها، فلم يستطيعوا الالتزام بها، ولا الوفاء بمتطلباتها، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

ب - خطورة الفتنة بالنساء:

وأشد شهوات الدنيا أسراً، وأعظمها فتنة النساء، لأن جذور هذه الشهوة عميقة في نفس الإنسان، وهياجها شديد لا يصمد له إلا من وفقه الله لتحصين نفسه، وحفظ فرجه، فتمكن من كبح جماحها، وإخضاعها لإرادته الواعية، بتوفيق الله وهداه. والآية الكريمة التي ذكرت شهوات الدنيا بدأت بذكر النساء ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

(١) المسند ١٢٨/٣، ١٩٩، ٢٨٥. سنن النسائي برقم (٣٩٣٩)، والمستدرك للحاكم ١٦٠/٢ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني برقم (٣١٢٤).

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٦٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٨٤).

مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عمران: ١٤] لأن الفتنة بهن أشد[١]. وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان لعظم فتنة النساء، وكبير خطرها، وواسع ضررها، حيث قال صلى الله عليه وسلم (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) متفق عليه[٢].

ويحذر النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة النساء، ويبين أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم[٣]. فخص النبي صلى الله عليه وسلم النساء بالذكر، وقد دخلن في فتنة الدنيا، لعظيم خطر الفتنة بهن.

ولا يخفى أن الله عز وجل جعل ميل كل من الجنسين إلى الآخر قوياً وعميقاً لحكمة بالغة، وذلك ليتم التزاوج، ويستمر التناسل، ولا يعزف الناس عن الزواج رغم تكاليفه، ومتاعب تربية الأولاد ورعايتهم.

وبسبب من عمق الدافع الجنسي في نفس كل إنسان، ذكر أو أنثى، كان لا بد للمسلم بعامة والداعية بخاصة أن

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٦/٢.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٩٦)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٤٠).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٧٤٢).

يهتم بتحصين نفسه من الوقوع في حبائل هذه الشهوة، والسقوط في مهاوي مقارفة الحرام: من زنى، أو نظر لغير المحارم، أو لمس لما حرم الله، أو غير ذلك، فلكل أثره الكبير، وخطره الجسيم على الإيمان. بل إن الزنى ينافي مقتضيات الإيمان ولوازمه، لذلك فهو لا يجتمع مع الإيمان، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) رواه البخاري ومسلم[1]. وفي حديث أبي هريرة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان) رواه أبو داود والترمذي والحاكم[2].

وأما النظر فهو بريد الزنى، بل هو زنى العين، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كتب على ابن أدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة: فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه) رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤٧٥)، وصحيح مسلم برقم (٥٧).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٦٩٠)، وجامع الترمذي برقم (٢٦٢٥)، ومستدرك الحاكم ٢٢/١ وصححه ووافقه الذهبي. وقال العراقي في آما ليه: صحيح. فيض القدير ٣٦٨/١.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٧).

وفي التحذير من لمس المرأة التي لا تحل، جاء حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) رواه الطبراني والبيهقي[1].

هذا وعلى الرغم من أن فتنة النساء ليست ابتلاء طارئاً ابتليت به الأمة في هذا العصر، وإنما هي فتنة قديمة قدم الحياة البشرية، وكانت أول فتنة بني إسرائيل، إلا أن فتنة النساء في هذا العصر اشتدت وعظمت أكثر من أي عصر مضى، وذلك للأسباب التالية:

١ - كثرة التبرج، وتعدد وسائل الزينة المستحدثة، التي تستخدمها النساء في هذا العصر لزيادة جاذبيتهن، ولم يحدث أبداً في تاريخ البشرية، أن تخصص هذا العدد الكبير من الشركات والمصانع، والمصممين في إنتاج صنوف الزينة، والأصباغ، والعطور، والأزياء النسائية، التي تزيد فتنة المرأة وإغراءها للرجل.

٢ - شيوع الاختلاط بين الرجال والنساء، والشباب والفتيات، في المدارس والجامعات، والشركات والوزارات، ووسائل النقل والحافلات، والندوات والحفلات، والمسابح والمنتزهات، وغير ذلك من ميادين

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٦/٤: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٦٥٧/٢: رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح.

الحياة العامة. فهذا الذي شهده هذا العصر من وجوه الاختلاط أكبر وأوسع وأكثر مما عرفته البشرية في عهودها السابقة.

٣ - المجاهرة بالفواحش، والمعالنة بالموبقات الجنسية، دون حياء ولا خجل، بل وممارسة الزنى في الأماكن العامة في البلاد غير الإسلامية.

٤ - الإثارة الجنسية الدائمة التي تصر عليها وسائل الإعلام المختلفة، عبر المسلسلات والدعايات وبرامج الترفيه وغيرها.

كل ذلك جعل فتنة النساء في هذا العصر أعظم من أي عصر مضى،مما يلقي على كاهل الداعية عبئاً كبيراً، ليتمكن من تحصين نفسه من الوقوع في شباك هذه الفتنة، ولينأى بنفسه عن الهبوط والتمرغ في الوحل. فالداعية أسوة للناس وقدوة، ومصلح لمن حوله وموجه، ولا يليق به أبداً الافتتان بالنساء، كما فعل أهل الكتاب. وقد كان من شأن قساوسة النصارى ومنصريهم، أنهم أمعنوا في الفواحش، وغرقوا في الموبقات الجنسية، فكانت النتيجة انصراف جماهير النصارى عن رجال دينهم، وزهدهم في مواعظهم وإرشاداتهم.

وهنا ينبغي أن نحمد الله تعالى، الذي أباح للمسلمين - عامتهم وخاصتهم - الزواج بواحدة أو اثنتين أو ثلاث أو

أربع، ولم يحرم على الدعاة الزواج، كما فعلت الكنيسة مع رجالها، فأوقعتهم في الحرج الشديد، ثم في الانحراف والانجراف، والتمرغ في أوحال الزنى والشذوذ.

لذلك ترى خاصة المسلمين عبر التاريخ - من الدعاة والعلماء والعباد - أطهر الناس ذيلاً، وأكثرهم عفة عن الحرام، وأبعدهم عن الريبة والانحراف. ولقد كان يوسف عليه السلام مثال الداعية الطاهر، الذي تتعرض له الفتنة فيزورّ عنها، وتشرئب له فيسمو عليها، وتمسك بتلابيبه لتجره إلى المستنقع الآسن فيصمد لها صمود الطود الراسخ، ويثبت ثبات الجبل الأشم، فضرب الله تعالى قصته مثالاً وأسوة للدعاة إلى يوم الدين، يتلون آيات الله تعالى، ويقتدون بهذا الداعية الكريم في عفته وطهره، وسموه وتعاليه على الفتن والشهوات.

ج - مظاهر الفتنة بالنساء:

تتبدى الفتنة بالنساء في سلوك من فتنوا بهن في أمور منها:

١ - النظر إلى غير المحارم، أو مصافحتهن، أو الخلوة بغير المحارم.

٢ - الإفراط في الجنس. بحيث يشغل صاحبه عن بعض واجباته الدعوية.

٣ – التعلق بالزوجة إلى الحد الذي يحمله على إرضائها:

أ – بالكسب الحرام أو المشبوه، أو قطع الأرحام.

ب – بالتخفف من أعباء الدعوة والتفلت من واجباتها.

ج – بالتقصير في الصيام والقيام والإنفاق في سبيل الله.

د – بكثرة ارتياد الأسواق، ومتابعة النزهات، وتوالي الزيارات غير الهادفة مما يضيع الأوقات سدى.

الفتنة الثانية: فتنة المال.

أ – ما هو المراد بالفتنة بالمال:

حب المال نزعة أصيلة في نفس الإنسان، وهذه النزعة من القوة بحيث إن الإنسان يحب تكديس الأموال الكثيرة، من كل أصناف المال، كما قال تعالى:.

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة بقوله: (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب) رواه البخاري ومسلم[1].

فحب المال شيء فطري، وحب تكثيره وتثميره أمر طبيعي، ولا غبار على ذلك، إنما المحظور هو تضخم شهوة جمع المال، بحيث تستعبد نفس المسلم، فيصبح عبداً للدرهم والدينار، وعندئذ تنقله هذه العبودية إلى تعاسة في

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٣٩)، وصحيح مسلم برقم (١٠٤٨).

الدنيا، وخسارة في الآخرة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض) رواه البخاري[1].

ومن المحظور أن يحمل الإنسان حبه للمال، والرغبة في تكديسه على الشح والبخل، فلا يؤدي ما أوجب الله تعالى في المال من حقوق، ولا ينفق من ماله كما أمر الله تعالى، فيعرض ماله للجوائح والهلكة في الدنيا، كما قص الله علينا من خبر أصحاب الجنة في سورة القلم، وخبر قارون في سورة القصص. ويعرض نفسه للعذاب الأليم يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

أما كسب المال من الحلال بدون عبودية للمال، ولا فتنة به، ولا اشتغال به عن الواجبات الشرعية، فهو أمر مشروع مبارك، كما جاء في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٨٨٦). والقطيفة: الثوب الذي له خمل، والخميصة: الكساء المربع، أنظر فتح الباري لابن حجر ١١/٢٥٤.

المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس، بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى) رواه البخاري ومسلم[(١)].

والإسلام اعتبر كسب المال من حقه عبادة إذا صلحت النية، كما جاء في حديث كعب بن عجرة قال: (مر على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب النبي من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) رواه الطبراني[(٢)].

وبذلك يبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن يكون عليه المسلم بعامة، والداعية بخاصة في موضوع كسب المال وتثميره. فالساعي في الكسب لسد حاجة الإنسان عبادة يؤجر عليها، أما الكسب للرياء

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٠٣٥).

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٥/٤: رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٥١٤/٢: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وأنظر صحيح الجامع الصغير رقم (١٤٢٨).

والمفاخرة فهو فتنة، ينبغي أن يحذرهم المسلم، وخاصة الداعية، الذي حمل على عاتقة مهمة إصلاح الناس وإرشادهم.

ب - خطورة الفتنة بالمال:

تعتبر الفتنة بالمال من الفتن الخطيرة، لشدة تعلق النفوس بالمال، ولتعاظم هذه الفتنة في المرحلة الأخيرة من حياة البشرية، حيث إن المال غدا وسيلة لتحقيق كثير من الشهوات في الحياة الدنيا، بما لم يكن يستطيع تحقيقه لأصحابه في العصور السابقة من ألوان الترفيه، والحياة الناعمة، والرفاهية المترفة، وهو ما حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام في حديث كعب بن عياض رضي الله عنه، أنه عليه الصلاة والسلام قال: (إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال) رواه الترمذي والحاكم[1].

وفي القرآن الكريم تحذير متكرر من فتنة المال، مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون].

وقوله جل وعلا: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥].

---

(١) جامع الترمذي برقم (٢٣٣٦) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وفي القرآن الكريم دعوة متكررة في مواضع كثيرة إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى، والتحذير من البخل والشح، ومن ذلك قوله جل وعلا: ﴿ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقوله جل وعلا: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من البخل والشح في أحاديث متعددة، ومنها حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبداً أبداً) رواه النسائي والإمام أحمد[1].

فالإيمان بالله تعالى يقتضي السخاء والإنفاق في سبيل الله تعالى، لذلك كان الشح منافياً لمقتضيات الإيمان، وكان البخل من صفات الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ

(١) سنن النسائي برقم (٢٩١٢)، ومسند الإمام أحمد (٢٥٦/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢١٨/١٣).

وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النساء].

ج - مظاهر الفتنة بالمال:

تتمثل الفتنة بالمال في أمور منها:

١ - كسب المال من حرام كالرشوة والغش وغيرها، أو من الوجوه المشبوهة، وهي التي يختلط على الداعية حالها، هل هي من الحلال أو من الحرام.

٢ - التباهي بجمع المال والافتخار بتكديسه، والتطاول به على عباد الله، والفرح بالغنى فرح بطر وأشر، ونسيان فضل الله تعالى عليه، مما يعرضه لعقوبة سلب نعمة الله عليه، وفي قصة قارون أعظم العبرة وأبلغ الموعظة.

٣ - البخل بالمال وعدم إخراج ما أوجب الله من الزكاة والنفقات. والبخل سبب لانصراف جمهور الناس عن الداعية البخيل، لأن الناس يحبون من الداعية كرمه، وعدم منافسته لهم في دنياهم، كما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجه[(١)].

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٤١٠٢)، وانظر صحيح سنن ابن ماجه للألباني برقم (٣٣١٠)، والسلسلة الصحيحة برقم (٩٤٤). وقال النووي في رياض الصالحين ص١٨٧: حديث حسن.

ولقد كان إمام الدعاة (يتألف الناس بالمال، ويحببهم بالإسلام بما يعطيهم من المال الكثير، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: (ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة) رواه مسلم. وفي رواية عن أنس: (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)[1].

٤ – من أخطر مظاهر الفتنة بالمال أن يحمل الإنسان حبه المال، وحرصه الشديد على الاستكثار منه على أن يبيع دينه بعرض من الدنيا، وفي ذلك أعظم الخطر على الإيمان، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا) رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٣١١).

(٢) صحيح مسلم برقم (١١٨).

الفتنة الثالثة: الفتنة بالأولاد

أ - المراد بالفتنة بالأولاد:

فطر الله جل وعلا الناس على حب الأولاد، وذلك لحكمة بالغة واضحة، فلولا ذلك الحب الجارف المتأصل في نفس كل إنسان تجاه أولاده، ما استمرت البشرية في التناسل، ولا تتابعت أجيالها. والإسلام يقر كل إنسان على حب أولاده، ولا يحاسب الناس على حبهم أولادهم، ما دام ذلك الحب في الحدود الشرعية، قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]

ليس هذا فحسب، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم استنكر أن لا يكون في نفوس بعض الآباء محبة لأبنائهم، تدفعهم لرعايتهم ورحمتهم والعطف عليهم، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: (قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتقبّلون صبيانكم؟ فقال: نعم. قالوا لكنا والله ما نقبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) رواه البخاري ومسلم[١].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قبل

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٨)، وصحيح مسلم برقم (٢٣١٧).

رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: من لا يرحم لا يرحم) رواه البخاري ومسلم[(١)].

والشيء المذموم من حب الأولاد هو الاشتغال بهم عن طاعة الله، وعن واجبات الدعوة والعبادة، أو أن يستجره حب الأولاد إلى الوقوع في المعصية.

ب - خطورة الفتنة بالأولاد:

الفتنة بالأولاد يستند خطرها، إلى الحب الجارف المركوز في فطرة الإنسان تجاه أولاده، لذلك فكثيراً ما يحمل الإنسان حبه لأولاده على كسب الحرام لتلبية مطالبهم، أو التقصير في طاعة الله تعالى اشتغالاً بقضاء حوائجهم، أو نزولاً عند رغبتهم، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وسأله رجل عن هذه الآية﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]. قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله. فلما أتوا رسول الله رأوا الناس قد

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٩٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٣١٨).

فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]. رواه الترمذي والحاكم(١).

وفي كتاب الله تعالى تحذير من فتنة الأولاد في غير ما موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]. وفي حديث بريدة رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر، فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود والحاكم(٢).

ج - مظاهر الفتنة بالأولاد:

تتبدي الفتنة بالأولاد في جملة أمور منها:

١ - قعود المسلم عن الجهاد في سبيل الله خوفاً على

---

(١) جامع الترمذي برقم (٣٣١٧) واللفظ له وقال: حديث حسن صحيح ومستدرك الحاكم ٢/ ٤٩٠ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) جامع الترمذي برقم (٣٧٧٤) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن غريب، وسنن النسائي برقم (١٥٨٥)، وسنن أبي داود برقم (١١٠٩)، ومستدرك الحاكم ١/ ٢٨٧ وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

أولاده من بعده، وكذا جبنه عن الجهر بالحق، وفي ذلك جاء حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال: (إن الولد مبخلة مجبنة) رواه ابن ماجة[1].

٢ – الاشتغال بهموم الأولاد وتأمين طلباتهم الكثيرة عن واجبات الدعوة، وعن تأهيل الداعية نفسه بالعلم والثقافة، والتدريب الفني اللازم لنجاح الدعوة. وفي ذلك جاء حديث الأسود بن خلف رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة) رواه الحاكم في المستدرك[2].

٣ – أكل الحرام، والكسب من الشبهات، من أجل تأمين مصروفات الأولاد، وتلبية مطالبهم التي لا تنتهي.

٤ – الاهتمام بدنيا الأولاد أكثر من دينهم، مثل إرسال الأولاد إلى بلاد الكفار للدراسة لفترة طويلة، وهم في ريعان الشباب، ودون تحصينهم بالتربية القويمة، والعقيدة السليمة، مما يترك آثاراً كبيرة على سلوكهم

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٣٦٦٦)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/٩٩: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.اهـ وقال الحافظ العراقي: إسناده صحيح. أنظر فيض القدير ٤٠٢/٢.

(٢) مستدرك الحكم ٢٩٦/٣ وقال: على شرط مسلم وأقره الذهبي وقال العراقي: إسناده صحيح. أنظر فيض القدير ٤٠٢/٢، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٩٩٠).

وأخلاقهم. فالمهم عند هذا الأب أن يكون ولده طبيباً أو مهندساً أو ما أشبه ذلك.

وفي قصة لقمان[1] عبرة وعظة، لكل أب في وجوب اهتمامه بدين أولاده وإيمانهم قبل أي شيء آخر.

وأخيراً فإن إهمال بعض الدعاة توجيه أولادهم، وانشغالهم عن تعهد الأولاد بالرعاية والتوجيه، يؤدي إلى تفلت الأولاد من الأخلاق الإسلامية، ووقوعهم فريسة للفتن والمغريات - وما أكثرها في هذا العصر - وهو أمر غير مقبول من الداعية المسلم بحال، فكيف يشتغل بالأمر بالمعروف عن أن يأمر أهل بيته؟! وكيف يشتغل بنهي الناس عن المنكر عن نهي أولاده؟!

وهو سبب في نفور الناس من الداعية، وفي زهدهم في الاستماع إليه، وإعراضهم عن الإصغاء لتوجيهه وإرشاده.

وليس في كفر ولد نوح عليه السلام عذر لأحد في التقصير في تربية الأولاد، وبذل أقصى الجهد في إصلاحهم، فنوح عليه السلام لم يقصر في الأخذ بأسباب هداية ولده، ولم يهمل شأن أهل بيته، ولكن الهداية بيد الله وحده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) تأمل الآيات (١٢ - ١٩) من سورة لقمان وتدبر ما فيها من وصايا لقمان لولده.

الفتنة الرابعة: الفتنة بالجاه

أ – المراد بالفتنة بالجاه:

من المسلم به أن كل إنسان يسره أن يثني الناس عليه بالخير، ويصفوه بالأوصاف الكريمة، ويسوؤه أن يذموه بالشر، وينعتوه بالنعوت القبيحة، وهذا أمر طبيعي في كل إنسان، وهو من لوازم الفطرة السليمة، ولا يذم به أحد، فقد ذكر الله جل وعلا في كتابه، في أوصاف عباده الذين يجزون الغرفة، وهي أعلى الجنة، ذكر في صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. فقد سألوا الله تعالى أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم.

وذكر ربنا جل وعلا أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه فقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. قال مجاهد وقتادة: يعني الثناء الحسن.

وقال ابن كثير: أي واجعل لي ذِكراً جميلاً بعدي أذكر به ويقتدى بي في الخير[١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٥١.

ويحمده الناس عليه ؟ قال: تلك عاجل بشرى المؤمن) رواه مسلم[1].

أي أن الإنسان يسر عندما يحمده الناس، ويثنون عليه، ولا حرج عليه في ذلك، لأنه لم يعمل الخير لكي يحمده الناس، إنما عمل الخير لله، فحمده الناس، فسره ذلك. فهذا ليس من الفتنة بالجاه في شيء، وليس من حب الجاه المذموم. إنما الذي يذم من حب الجاه ثلاثة أمور[2]:

أ - طلب المنزلة في قلوب الناس باعتقادهم فيه صفة وهو منفك عنها، مثل العلم، والورع، والنسب، والكرم، وغير ذلك من صفات الكمال.

ب - التوصل إلى الجاه بارتكاب معصية، مثل الكذب، والخداع، وغيرهما من المحظورات.

ج - التوصل إلى الجاه بالعبادة وتحسينها، وهو الرياء الذي يحبط العمل.

وهناك أمور من حب الجاه لا تذم وهي:

أ - طلب المنزلة بصفة هو متصف بها، كقول يوسف عليه السلام:﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]. فقد طلب المنزلة بكونه حفيظاً عليماً، وكان محتاجاً إليه، وكان صادقاً فيه.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٤٢).

(٢) أنظر إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٢٨٥.

ب – طلب المنزلة بإخفاء عيب من عيوبه، ومعصية من معاصية، حتى لا تعلم، فلا تزول منزلته به، فهذا أيضاً مباح، لأن حفظ الستر على القبائح جائز، ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح، وهذا ليس فيه تلبيس، بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به، وهو ما أفاده حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه) رواه البخاري ومسلم[1].

ج – طلب[2] المنزلة والجاه في قلوب الناس بسؤال الله تعالى، والاجتهاد في عبادته وطاعته مع الإخلاص له جل وعلا، كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].وهو الطريق الصحيح لتلبية النزعة الفطرية عند الإنسان في حب المنزلة والشرف، والرغبة في ثناء الخلق. وهو الذي يفيده حديث أبي هريرة مرفوعاً (إن الله إذا أحب العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحببه، فيحبه

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٠).

(٢) هذه الحالة لم يذكرها الغزالي في الإحياء وهي من زيادتي.

جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض) رواه البخاري ومسلم[1].

د – طلب المنزلة والجاه في قلوب الناس بالتجمل في اللباس، والأناقة في المظهر، والنظافة في الثوب والبدن. فهو مشروع، ولا غبار عليه، ولا إثم فيه، ما لم يخرج عن حد الاعتدال، إلى التعلق الزائد، والاهتمام الكبير، قال الغزالي: (تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراءاة، وهو ليس بحرام، لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا، وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم.. ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذراً من ذمهم، ولومهم، واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم، كان قد قصد أمراً مباحاً، إذ للإنسان أن يحترز من ألم المذمة، ويطلب راحة الأنس بالإخوان. ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم)[2].

ويشهد لذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال) رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٠٩) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (٢٦٣٧).

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٠٠. وأنظر الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر المكي ١/ ٤٤ .

(٣) صحيح مسلم برقم (٩١).

وكذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأى رجلاً عليه ثياب وسخة، فقال: أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه) رواه أبو داود[(١)].

ب - خطورة الفتنة بالجاه:

جاء في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله عليه الصلاة والسلام تحذير متكرر من الفتنة بالجاه، ومن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر] أي شغلكم التكاثر وهو الفتنة بالجاه، شغلكم ذلك حتى مضت أعماركم وأصبحتم من أهل القبور[(٢)].

إن تعلق الإنسان بالجاه والمنزلة، يحمله على بذل ماله، ثم يحمله على بذل دينه، من أجل المنصب والمكانة، وهو الذي حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم (يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو

(١) سنن أبي داود برقم (٤٠٦٢)، وانظر صحيح الجامع رقم (١٣٣٣)، والسلسلة الصحيحة رقم (٤٩٣).

(٢) انظر تفسير ابن عطية ١٥/٥٥٧، وتفسير القرطبي ٢٠/١٦٨.

يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا).

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ المثل لخطورة الفتنة بالجاه على دين المسلم، وذلك في حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) رواه أحمد والترمذي وابن حبان[(١)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (فهذا مثل عظيم جداً، ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لفساد دين المسلمين بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين، باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم، ويفترسان فيها. ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل.

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم إن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه، ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساوياً، وإما أكثر. يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا قليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين

---

(١) جامع الترمذي برقم (٢٣٧٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ومسند أحمد ٤٥٦/٣، والإحسان برقم (٣٢٢٨).

المذكورين فيها إلا قليل. فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا)[1].

وقال رحمه الله: (وأما حرص المرء على الشرف، فهو أشد هلاكاً من الحرص على المال، فإن طلب شرف الدنيا، والرفعة فيها، والرياسة على الناس، والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف)[2].

ج - مظاهر الفتنة بالجاه:

تتمثل الفتنة بالجاه في أمور منها:

١ - طلب المناصب، والحرص على الرياسات، والاجتهاد في تبوئ المراتب وتصدر المجالس. وهذا الأمر سبب رئيس لحصول النزاع والخلاف، ووقوع الشقاق والبغضاء بين المؤمنين. وهو سبب لاشتغال الداعية بإرضاء الخلق بدل إرضاء الخالق، فبدلاً من إصلاح أخطاء الناس وعيوبهم، تراه يتملق شهواتهم، ويساير رغباتهم ليحمدوه، أو لينتخبوه، وبذلك يخسر مهمته كمصلح، ولا يزداد من الله إلا بعداً.

٢ - الرياء بالعبادة، طلباً لرضى الخلق و ثنائهم، و مهما حاول هذا المرائي أن يتظاهر أمام الناس بالإخلاص،

---

(١) ذم المال والجاه في شرح حديث ما ذئبان جائعان للحافظ ابن رجب الحنبلي ص١٤ - ١٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٩.

فإن الله تعالى لا بد أن يفضح سريرته، وبذلك ينصرف الناس عنه، ويفشل في دعوته، ويخيب مسعاه، كما جاء في حديث جندب بن عبد الله بن سفيان رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به) رواه البخاري ومسلم [1].

قال الحافظ ابن حجر: (قال الخطابي: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه، وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديثاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة) [2].

٣ - الجراءة على الفتوى خوفاً من أن يوصف بالجهل وقلة العلم، وهذا أمر في غاية الخطورة، حذر منه ربنا جل وعلا، وقرنه مع النهي عن الشرك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٩)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٧).

(٢) فتح الباري ١١/٣٣٦.

والداعية حين يفتي بغير علم يتحول من داعية هدى إلى داعية ضلال، والعياذ بالله تعالى، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) رواه البخاري ومسلم[1].

٤ - الاستكبار عن قبول النصيحة، والترفع عن الخضوع للحق إذا ظهر له، وبذلك يسد على نفسه باب خير عظيم. فكل إنسان يحتاج إلى نصح إخوانه، ولا يمكن أن يطلع على عيوبه بنفسه، فإذا لم يقبل النصح استمر على أخطائه، وحرم نفسه من إصلاحها.

٥ - انتقاص الآخرين، والتشهير بهم، لينفرد هو بإعجاب من حوله. وهذا يوقع الداعية في إثم الغيبة والنميمة، ويحمله وزر التفريق بين المؤمنين.

وفي ختام هذا المبحث عن اتباع الهوى وخطورته، سواء كان هوى الشبهات أو هوى الشهوات، فإن على الداعية أن يحذر أشد الحذر من هواه، وإن مما يعين الداعية على التغلب على هوى نفسه الأمارة بالسوء أموراً منها:

١ - الخوف من عذاب الله تعالى وعقابه، وهو أقوى رادع

---

(١) صحيح البخاري برقم (١٠٠)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٣).

للنفس عن اتباع الهوى، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات].

قال الإمام ابن جرير الطبري: (يقول: وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، يقول: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواه إلى ما أمره به ربه، فإن الجنة هي المأوى)(١).

٢ - الاستعانة بالله تعالى، الذي بيده قلوب العباد، وقد وعد ربنا جل وعلا بهداية من طلب منه الهدى، كما جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) رواه مسلم(٢).

٣ - الاستعاذة بالله تعالى من شر الهوى، وشهوات النفس، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله تعالى من شرور النفس، كما جاء في حديث خطبة الحاجة (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه(٣).

---

(١) تفسير ابن جرير ٢١٢/٢٤.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٣) سنن أبي داود برقم (٢١١٨)، وجامع الترمذي برقم (١١٠٥)، وسنن النسائي برقم (١٤٠٤)، وابن ماجه برقم (١٨٩٢).

المبحث الثالث

الإصغاء لوسوسة الشيطان

والسبب الثالث من أسباب ضعف الإيمان، هو الإصغاء لوسوسة الشيطان وتزيينه وقبول نصحه، والانخداع بوسوسته، فالشيطان لا يوسوس إلا بالشر، ولا يزين إلا المعصية، ولا يريد للإنسان إلا الضلال المبين، ليكون من أصحاب النار.

لذلك فإن الاستماع إلى الشيطان يضعف إيمان المؤمن، بمقدار إصغائه لوسوسة الشيطان، ولا يزال الشيطان يسعى في إضعاف إيمان المؤمن عن طريق إضلاله، حتى يخرجه من دائرة الإيمان إن استطاع، وذلك أقصى ما يتمناه الشيطان من الإنسان.

كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ۝٦٢ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤﴾ [يس] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥].

وإذا كان الإصغاء إلى وسوسة الشيطان يضعف إيمان العبد، فإن ضعف الإيمان كلما ازداد، زاد تمكن الشيطان

من قيـاد الإنسـان، وسـيطرته عليـه، وبالمقـابل فـإن تمسك الإنسـان بطاعـة الله تعـالى يجـعله في حـمـاية من سـلطان الشـيطان وخداعـه، كمـا قـال تعـالى:﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل].

وإن مما يزيد من خطورة الإصغاء لوسوسة الشيطان على إيمان المؤمن، العـداوة الشـديدة منه لبني آدم، وقـدرته العـجيبـة على تزيين الشـر، والإغـراء بالمعصيـة، ووسـائله المتـعددة، وشـبـاكـه المتنوعـة، المنصـوبة لـلإنسـان، لإغـوائه وإضـلاله، مـا يفـرض على المؤمن حـذراً شديداً، واحـتيـاطاً بالـغـاً، وأهبـة دائـمـة، إذا أراد لنفـسـه النجـاة من شـر الشيطان.

المطلب الأول: عداوة الشيطان للإنسان:

لقـد اخـبـرنا ربنـا جل وعـلا في كـتـابه الكريم، في مـواضع متـعـددة، أن عـداوة الشـيطان لـلإنسـان، عـداوة بينة ومنها قـوله تعـالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٥]. وقـولـه جل وعـلا: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣]. ودعـانا ربنا جـلا وعـلا إلـى اتـخـاذه عـدواً بقـوله:﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]. واتخاذه عدواً يتنافى مع الإصغاء لوسوسته، والاستماع لتزيينه. لأن العداوة تقتضي المقاطعة والمخالفة، وعدم قبول النصح من العدو أبداً، وكيف نقبل منه النصح، والله سبحانه قد بين لنا في كتابه الكريم مدى حرص الشيطان على إضلالنا، وشدة رغبته في إغوائنا، وذلك في قول الله جل وعلا: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر]. وقوله سبحانه: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وبناء على هذه العداوة الشديدة من الشيطان تجاه الإنسان، فإن أضل عمل للإنسان وأخسره، هو اتخاذ عدوه ولياً وناصحاً، والاستماع إلى تزيينه ووسوسته،كما قال تعالى﴿ وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨].

المطلب الثاني: أبرز وسائل الشيطان في الإغواء:

للشيطان وسائل عديدة لإضلال بني آدم، وشباكه كثيرة ينصبها لاصطياد الإنسان، وإيقاعه في الضلالة، والذي يتأمل في آيات القرآن الكريم، وفي أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام يجد بياناً شافياً لهذه الوسائل، وتحذيراً واضحاً من تلك الشباك والمصائد، والتي من أبرزها:

١ - تزيين المعاصي:

وللشيطان قدرة عجيبة على تزيين المعصية، وتجميلها في نظر العبد، حتى إنه ليخيل للإنسان أن سعادة الدنيا كلها في هذه المعصية، وأنه ليس هناك لذة تغني عما سيشعر به في ارتكاب هذه المعصية من لذة وسعادة، وما هو إلا أن يفرغ المؤمن من المعصية، حتى ينجلي عنه تزيين الشيطان، وتتكشف له الحقيقة، حقيقة الخداع الذي وقع فيه، والتلبيس الذي مارسه إبليس عليه كما قال الله تعالى: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النحل: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

وأوضح مثل على قدرة الشيطان العجيبة على تزيين المعصية، ما قصه الله تعالى في كتابه الكريم من قصة آدم

عليه السلام، حيث أباح الله له كل ما في الجنة إلا شجرة واحدة، فاستطاع الشيطان أن يستجر آدم عليه السلام إلى الأكل من تلك الشجرة المحرمة، على الرغم من كثرة الأشجار المباحة في الجنة، وعلى الرغم من تنوعها، ولكن تزيين الشيطان عظيم. قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] وقال سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف].

ومن خطة الشيطان في إغواء المؤمنين، أن يزين لهم الصغائر أولاً، فإذا تهاون العبد بها واستمرأها أوقعه في الكبائر، ثم في الموبقات، التي حذر منها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) رواه البخاري ومسلم[1].

والكبائر في قول ابن عباس: هي كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب[2].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٦٦) وهذا لفظه، وصحيح مسلم برقم (٨٩).

(٢) تفسير القرطبي ٥/١٥٩.

والله جل وعلا وعد عباده، إذا اجتنبوا الكبائر أن يكفر عنهم الصغائر، فقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

ولكن الصغائر إذا توالت وتكررت، وأصر عليها العبد، انقلبت إلى كبائر، فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون بالمعصية، ولا ينبغي له أن يقبل تزيين الشيطان له، بأن هذه من الصغائر، فإن الذنوب الصغائر إذا تتابعت وتكاثرت أهلكت صاحبها، كما بين لنا النبي عليه الصلاة والسلام، ذلك أوضح بيان، بقوله: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب، كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه) رواه الإمام أحمد والطبراني[(١)].

ومن خطة الشيطان في تزيين المعصية للعبد، أن يغري العبد بإخفائها فلا يطلع عليها الناس، وينسى العبد أن الله جل وعلا مطلع عليه، لا يخفى عليه حاله، والعبد حين لا يبالي برقابة الله عليه يحبط عمله، وتسوء عاقبته، كما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: (لأعلمن أقواماً من أمتي يأتون يوم

---

(١) مسند أحمد ٤٠٢/١، ٣٣١/٥، وأنظر مجمع الزوائد ١٨٩/١، ١٩٠، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٣٨٩)، وصحيح الجامع الصغير برقم (٢٦٨٦).

القيامة بأعمال أمثال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثوراً. قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، حلهم لنا، لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) رواه ابن ماجه[1].

٢ - التثبيط عن الطاعات وأداء الواجبات:

وهذه هي الوسيلة الثانية من وسائل الشيطان في إغواء بني آدم، فالشيطان يحاول أن يشغل المسلم عن طاعة الله تعالى، وأن يثبط عزيمته على العبادة، بما يخترع له من العقبات الوهمية، وبما يذكره من المشاغل الكثيرة، كلما هم بفعل العبادة، ويمثل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يستخدم الشيطان هذه الوسيلة مع المؤمن، فيقول عليه الصلاة والسلام: (إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتسلم ؟ وتترك دينك ودين آبائك ؟ فعصاه وأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: أتهاجر ؟ أتدع أرضك وسماءك؟ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: أتجاهد ؟ وهو تلف النفس والمال؟ فتقاتل فتقتل، فتنكح نساؤك، ويقسم مالك ؟ فعصاه وجاهد. فمن فعل ذلك فمات كان حقّاً على الله أن يدخله

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٤٢٤٥). قال في مصباح الزجاجة ٤/٢٤٦: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

الجنة) رواه النسائي [1].

ويمكن أن نلقي مزيداً من الضوء على خطة الشيطان، في التثبيط عن الطاعات، لاستجلاء معالمها التي منها:

أ - التنسية:

فالشيطان يفوت على المؤمن الطاعة بأن ينسيه فعلها، كما قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وصحيح أن الله رفع عن عباده إثم النسيان، ولكن الشيطان يفوت على العبد ثواب الطاعة حين ينسيه فعلها، لذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بالمبادرة لفعل العبادة حين نذكرها، لنستدرك ما فاتنا بالنسيان، كما جاء في حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك) رواه البخاري ومسلم [2].

---

(١) سنن النسائي برقم (٣١٣٤)، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٢٩/٢: أخرجه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح. وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٢٩٧٩)، وصحيح الجامع برقم (١٦٥٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٩٧)، وصحيح مسلم برقم (٦٨٤).

ب - كلما عظم أجر العبادة اشتد اجتهاد الشيطان في التثبيط عنها: وذلك ليحرم العبد أجرها العظيم، فمثلاً الصدقة أجرها عظيم، وثوابها جزيل، وهي برهان على إيمان صاحبها، لذلك ترى الشيطان يجتهد في صرف العبد عنها ما لا يجتهد في غيرها، كما جاء في حديث بريدة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يخرج رجل شيئاً من الصدقة حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطاناً) رواه أحمد والبزار والحاكم[1].

وكذلك الصلاة وذكر الله تعالى أجرهما عظيم، لذلك فإن الشيطان يجتهد في صرف العبد عنهما، وإشغاله عنهما بما استطاع من أمور الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

ج - إذا لم يستطع الشيطان صرف العبد عن الطاعة إلى المعصية مباشرة، صرفه من عبادة أجرها كبير إلى عبادة أجرها أقل، فمثلاً حين يهم العبد بقيام الليل يغريه بقراءة كتاب في الثقافة الإسلامية، وأخرج ابن الجوزي بسنده إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن

---

(١) مسند الإمام احمد ٥/٣٥٠، وكشف الأستار برقم (٩٤٣)، ومستدرك الحاكم ١/٤١٧ وصححه ووافقه الذهبي. وأنظر السلسلة الصحيحة للألباني برقم (١٢٦٨). وأنظر مجمع الزوائد ٣/١٠٩ وقال: رجاله ثقات.

الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم، فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا، فأغرى بينهم حتى اقتتلوا، فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا [1]. وربما صرف العبد عن العبادة بشغله بالأمور المباحة.

د - الترغيب في البدع: واهتمام الشيطان بهذه الوسيلة، مبناه أن تعب الإنسان في البدعة يذهب سدى،لأنه لا يؤجر على العبادة المخترعة، إنما يؤجر العابد على العبادة المشروعة. لذلك ترى الشيطان يشغل الإنسان بالبدع، ويستفرغ فيها جهده، ويرضي بها رغبته في العبادة، ولكنها عبادة باطلة. ولذلك من تلبيس إبليس، قال ابن الجوزي: (التلبيس إظهار الباطل في صورة الحق) [2]. وذكر في كتابه تلبيس إبليس نماذج كثيرة من تلبيس الشيطان على العباد والعلماء والصوفية وغيرهم.

هـ - التسويف وطول الأمل، فكلما هم المسلم بالعبادة دعاه الشيطان إلى التمهل، لأن الوقت أمامه متسع، والفراغ كبير، وهكذا ما يزال يؤجله حتى يفوت الوقت، بل حتى ينقضي العمر كله. كما جاء في حديث أبي

---

(١) تلبيس إبليس ص٣١.

(٢) المصدر السابق ص٤٢.

هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) رواه البخاري ومسلم [١].

وقال تعالى على لسان إبليس: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]. قال ابن عباس: (يريد تعويق التوبة وتأخيرها) [٢]. وقال ابن كثير: (أي أزين لهم ترك التوبة، وأعدهم الأماني، وآمرهم بالتسويف والتأخير، وأغرهم من أنفسهم) [٣].

وقال ابن القيم: (ومن تأمل أحوال أكثر الناس وجدهم متعلقين بوعده وتمنيته، وهم لا يشعرون أنه يعد الباطل، ويمني المحال) [٤].

فهذه الوسيلة من وسائل إبليس ذات خطر عظيم، فكم أضاع على الناس من فرص كثيرة وكم أفنوا من أعمارهم،

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٧٧٦).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ١/١٨٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٨٤٤.

(٤) إغاثة اللهفان ١/١٨٢.

دون أن يستفيدوا منها في الطاعة، بسبب التسويف والتأخير. وفي كتاب الله تعالى تحذير شديد من ذلك، قال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣]. قال القرطبي: (ويلههم الأمل أي يشغلهم عن الطاعة)[1]. وقال ابن كثير: (ويلههم الأمل أي عن التوبة والإنابة)[2]. وقال سيد قطب: (وصورة الأمل الملهي صورة إنسانية حية، فالأمل البراق ما يزال يخيل لهذا الإنسان، وهو يجري وراءه، وينشغل به، ويستغرق فيه، حتى يجاوز المنطقة المأمونة، وحتى يغفل عن الله، وعن القدر، وعن الأجل، وحتى ينسى أن هناك واجباً، وأن هنالك محظوراً، بل حتى لينسى أن هنالك إلهاً، وأن هناك موتاً، وأن هنالك نشوراً)[3].

ويبين القرطبي خطورة طول الأمل بقوله: (وطول الأمل داء عضال، ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، واشتد علاجه، ولم يفارقه داء، ولا نجع فيه دواء، بل أعيا الأطباء، ويئس من برئه الحكماء والعلماء)[4].

و - بالتخويف من أوليائه: فالشيطان يلقي في نفوس

---

(١) تفسير القرطبي ١٠/٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤٠٣.

(٣) في ظلال القرآن ٢١٢٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/٣.

المؤمنين الخوف من أوليائه، ليمنع المؤمنين من طاعة الله تعالى، وخاصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

قال سيد قطب في تفسير الآية: (إن الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائه، ويلبسهم لباس القوة والقدرة، ويوقع في القلوب أنهم ذوو حول وطول، وأنهم يملكون النفع والضر، ذلك ليقضي بهم لباناته وأغراضه، وليحقق بهم الشر في الأرض والفساد، وليخضع لهم الرقاب، ويطوع لهم القلوب، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار، ولا يفكر أحد في الانتقاض عليهم، ودفعهم عن الشر والفساد.

والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل، وأن يتضخم الشر، وأن يتبدى قوياً قادراً قاهراً باطشاً جباراً، لا تقف في وجهه معارضة، ولا يصمد له مدافع، قال: والشيطان ماكر خادع غادر، يختفي وراء أوليائه، وينشر الخوف منهم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته، ومن هنا يكشفه الله، ويوقفه عارياً لا يستره ثوب من كيده ومكره، ويعرّف المؤمنين الحقيقة: حقيقة مكره ووسوسته ليكونوا منها على حذر، فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا

يخافوهم. فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه، ويستند إلى قوته. إن القوة الوحيدة التي تخشى وتخاف هي القوة التي تملك النفع والضر. هي قوة الله، وهي القوة التي يخشاها المؤمنون بالله، وهم حين يخشونها وحدها أقوى الأقوياء، فلا تقف لهم قوة في الأرض، لا قوة الشيطان ولا قوة أولياء الشيطان (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين)[1].

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. (ويزداد أثر تخويف الشيطان من أوليائه كلما ضعف إيمان العبد ويزول كلما قوي إيمان العبد)[2].

٣ - التشكيك في الإيمان واليقينيات:

والشيطان جد حريص على إضلال الإنسان، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] وقال سبحانه على لسان إبليس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ

---

(١) في ظلال القرآن ص٥٢١. وأنظر تفسير ابن كثير ٢/٦٤٧.

(٢) إغاثة اللهفان ١/١٨٦.

وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴿١١٩﴾ [آل عمران] (ومن وسائله في هذا الإضلال تشكيك المؤمن في إيمانه، وإثارة الريب في يقينه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيـ الله. فيقول: من خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله ورسوله) رواه البخاري ومسلم [1].

وينبغي للمؤمن أن يطرد وسوسة الشيطان من صدره، وأن يعتصم بالله تعالى، وليجدد إيمانه بقوله: آمنت بالله ورسوله، كلما وسوس له الشيطان، وحاول أن يشككه في إيمانه ويقينه. والعبد مأجور على هذه المجاهدة، بل سمى الرسول صلى الله عليه وسلم مدافعة وسوسة الشيطان صريح الإيمان، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: أوقد وجدتموه ؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان) رواه مسلم [2].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٧٦)، وصحيح مسلم برقم (١٣٤) واللفظ له.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٣٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة قال: تلك محض الإيمان) رواه مسلم[1].

قال ابن أبي العز شارح العقيدة الطحاوية، معقباً على الحديثين السابقين: (فمدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمان ومحض الإيمان)[2].

وهذا التوجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن وساوس الشيطان إنما هو بشأن الخواطر غير المستقرة، والتي لا تستند إلى شبهة، فأما الخواطر الشيطانية المستقرة في نفس الإنسان، والتي تثير بلبلة فكرية عنده، فلا بد من استخدام الحجة والدليل في إبطالها، مع الاستعانة بالله تعالى، والاستعاذة به من شر الشيطان ووسوسته[3].

٤ - التفريق بين المؤمنين:

وهي الوسيلة الرابعة من وسائل الشيطان في إغواء المؤمنين، وفتنتهم عن دينهم، وذلك بالتحريش بينهم، وإثارة العداوة والبغضاء، لأن إبليس يعلم أن البغضاء هي الحالقة، حالقة الدين، ولأن العداوة والبغضاء يوقعان المسلمين في

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٣٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٩.

(٣) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢/١٥٥..

جملة من المحرمات والموبقات، مثل الغيبة، والنميمة، والظلم، والعدوان، والسب، والقذف، وأعظمها سفك الدماء بغير حق، ولذلك فإن الشيطان وقد أيس من إثارة الشرك وعبادة الأوثان من جديد، يحرص على هذه الوسيلة من أجل الوصول إلى غايته المتمثلة في إغواء بني آدم وإضلالهم، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم) رواه مسلم[1].

والشيطان يعطي أهمية خاصة للتحريش بين الزوج والزوجة، بهدف الوصول إلى التفريق بينهما، لما يصاحب ذلك من ارتكاب لكثير من المحرمات عادة، تحت تأثير العداوة والبغضاء بين الزوجين. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت) رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨١٢).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٨١٣).

ويتوصل الشيطان إلى إثارة العداوة والبغضاء بين المؤمنين، والتفريق بينهم بأمور منها:

أ - الخمر والميسر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

ب - بالقول السيئ، والألفاظ النابية، والسب والشتم، لأن كل ذلك سبب إثارة العداوة والبغضاء، وربما كان سبباً لإثارة القتال وسفك الدماء، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال ابن كثير: (يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة)[1].

المطلب الثالث: وسائل النجاة من شباك الشيطان وشراكه

من رحمة الله بعباده، ولطفه بهم، أنه شرع لهم وسائل تحميهم من كيد الشيطان، وتنجيهم من شراكه التي ينصبها لهم، وترد عليه كيده، ومن هذه الوسائل:

---
(١) تفسير ابن كثير ٥/٧٦.

١ - المبادرة إلى التوبة:

كل إنسان لا بد أن ينزلق إلى شيء من المعاصي، بحكم ضعفه الإنساني وبسبب وسوسة الشيطان وتزيينه، والمعاصي تمثل ثغرات ينفذ منها الشيطان، إلى مزيد من الوسوسة والإغواء، لأن المعاصي تضعف إيمان صاحبها، وبذلك تضعف مناعته ضد وساوس الشيطان. ثم إن المعاصي تورث القلب ظلمة، تخرج منه من نور الإيمان بمقدارها، لذلك جعل الله التوبة ماحية لأثر المعصية، ومذهبة لظلمتها من القلب، فالتوبة تجلو القلب، وتعيد إليه ما فقده من نور الإيمان، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رواه الترمذي والحاكم[١].

والله جل وعلا جعل في الاستغفار والتوبة إحباطاً لكيد الشيطان، وتخييباً لمسعاه في إهلاك بني آدم بالذنوب والمعاصي، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك مادامت

---

(١) تقدم ص ٣٢ .

أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني) رواه أحمد والحاكم[1].

فعلى المسلم أن يبادر إلى التوبة والاستغفار كلما زلت قدمه في معصية، ليمحو أثر المعصية من قلبه،وليسد تلك الثغرة على إبليس، وذلك دأب المتقين من عباد الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١)** ﴾ [**الأعراف**].

قال ابن كثير: وقوله (تذكروا) أي عقاب الله وجزيل ثوابه ووعده، فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب (فإذا هم مبصرون) أي قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه)[2].

ويرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإكثار من التوبة والاستغفار بقوله: (يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة) رواه مسلم[3].

٢ - الاستعاذة بالله من شر الشيطان:

وهذه وسيلة مهمة جداً للنجاة من شر الشيطان وكيده، فإن شر الشيطان عظيم، والعبد لا طاقة له بمفرده

---

(١) مسند أحمد ٣/٢٩، ٤١ ومستدرك الحاكم ٤/٢٦١ وصححه ووافقه الذهبي.وانظر صحيح الجامع برقم (١٦٥٠) والسلسلة الصحيحة رقم (١٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٤١.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٧٠٢).

بمواجهة شر الشيطان، ولا بالتصدي لخططه ومكره، ولكن الله جل وعلا من رحمته بنا، فتح لنا باب اللجوء إلى حماه، والاستجارة به سبحانه، والاحتماء بجنابه العزيز، والله جل وعلا يجير المستجير، ويحمي الملتجأ إليه، وإنه سبحانه دعانا إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

قال ابن كثير:(أمره الله أن يستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل، ولا ينقادون بالمعروف.. وقوله تعالى:﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[المؤمنون: ٩٨] أي في شيء من أمري، ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور، و ذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والذبح وغير ذلك من الأمور)[١].

وقال ابن القيم: (وهمزات الشياطين: دفعهم الوساوس والإغواء إلى القلب، قال ابن عباس والحسن: همزات الشياطين: نزغاتهم ووساوسهم)[٢].

وأمر الله تعالى بالاستعاذة من شر الشيطان في سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾[الناس].

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/٤٠٨.

(٢) إغاثة اللهفان ١/١٦٧.

وأمر جل وعلا بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن خاصة بقوله: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿٩٨﴾ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٩٩﴾ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

وذلك لئلا يحول الشيطان بين العبد وبين الانتفاع بقراءة القرآن، ولئلا يصرفه الشيطان عن تدبر ما يتلو، ولئلا يشوش عليه قراءته وغير ذلك(١).

وقص علينا ربنا سبحانه في كتابه الكريم قصة امرأة عمران، المرأة الصالحة، كيف أعاذت ابنتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى على لسانها: ﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦]. وذلك ليكون لنا في قصتها أسوة، فنعيذ أولادنا بالله تعالى من شر الشيطان، ولا نكتفي بأن نعيذ أنفسنا بالله من شره.

وجاء في السنة الإرشاد إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند الصلاة، وعند الغضب، وعند رؤية الإنسان ما يكره في نومه، وعند دخول المسجد، وعند دخول الخلاء، وعند الجماع، وفي كل صباح ومساء، وعند

---

(١) انظر إغاثة اللهفان ١/١٦١ - ١٦٥.

سماع نباح الكلاب، ونهيق الحمير[1].

٣ - كثرة ذكر الله تعالى:

إن كثرة ذكر الله تعالى تمثل حصناً للمسلم من كيد الشيطان، كما جاء في حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله أوحى إلى يحيى بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن... الحديث وفيه: وآمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره حتى أتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله) رواه الترمذي والحاكم وابن خزيمة[2].

وذكر العبد لربه يكافئه عليه الرب جل وعلا بأن يذكره، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقراءة القرآن الكريم بتدبر، أفضل أنواع الذكر، وأكثره أجراً، وأعظمه نفعاً، فإن في القرآن شفاء لما في الصدور، وفيه هدى ورحمة، وهو خير موعظة للنفوس،

---

(١) أنظر تفصيل ذلك في كتاب عداوة الشيطان للإنسان للدكتور عبد العزيز بن صالح العبيد ص١٥٢ - ١٥٧.

(٢) جامع الترمذي برقم (٢٨٦٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ومستدرك الحاكم ١/٢٣٦ وصححه، وصحيح ابن خزيمة برقم (٩٣٠)، وانظر صحيح الجامع الصغير برقم (١٧٢٤).

لذلك فإن قراءة القرآن تزيد إيمان المؤمن، وتجعله في حصن حصين من الشيطان وكيده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وفي الحديث أن سورة البقرة تحمي بيت المسلم من الشيطان، وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة) رواه مسلم[(١)].

وكذلك آية الكرسي وآخر آيتين من سورة البقرة، ومما ورد أنه حرز للمسلم سائر يومه من الشيطان أن يقول مائة مرة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)[(٢)].

٤ - الإخلاص والتوكل على الله تعالى:

إن إخلاص المؤمن في توحيده، وتوكله على الله تعالى، ينجيان العبد من تسلط الشيطان كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

وقال جل وعلا: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٢٤).

(٢) أنظر تفصيل ذلك في عداوة الشيطان للإنسان ١٤٣، ١٤٧، ١٤٨.

منهم المخلصين (٨٣) ﴾ [ص]. وكلمة (المخلصين) فيها قراءتان متواترتان: بفتح اللام، وبكسر اللام. وعلى قراءة الكسر يكون الاستثناء لأهل الإخلاص، وعلى قراءة الفتح يكون الاستثناء لمن أخلصهم الله واصطفاهم، ومعروف أنهم ما لم يتصفوا بالإخلاص، فليسوا أهل لأن يصطفيهم الله تعالى.

والتوكل على الله تعالى يستلزم الإخلاص، وكذلك الإخلاص في التوحيد يستلزم التوكل على الله تعالى، فهما متلازمان.

قال ابن القيم:(وقد أخبر سبحانه انه لا سلطان لعدوه على عباده المخلصين المتوكلين.. فالتوحيد والتوكل والإخلاص يمنع سلطانه، والشرك وفروعه يوجب سلطانه)[1].

٥ - لزوم الجماعة والعامة المسجد:

فالعزلة تجعل الداعية فريسة سهلة للشيطان ووسوسته، أما مخالطة الدعاة، والتعاون معهم على البر والتقوى، فإنه يجعل الداعية عصيّاً على الشيطان، لأنه يستمد من إخوانه قوة وعزيمة على الخير، ونفرة من المعصية، وحياء من فعل الخطايا والسيئات. لذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حث المؤمنين على التعاون والتقارب والتلاقي، ونهاهم عن العزلة والانفراد فقال: (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع

---

(١) إغاثة اللهفان ١/١٧٠ - ١٧٢.

الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة) رواه الترمذي والحاكم[1].

وكلما كثرت جماعة الدعاة، كان الشيطان أبعد عن أفرادها، لأنهم يقوي بعضهم بعضاً. ويشبه النبي عليه الصلاة والسلام الشيطان بالنسبة للإنسان بذئب الغنم، فكما أن الذئب يعدو على الشاة المنفردة عن القطيع فيفترسها، فكذلك الشيطان يتمكن من السيطرة على المؤمن المنعزل عن إخوانه، والمبتعد عن جماعتهم، وذلك ما روي عن معاذ رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد) رواه أحمد[2].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو ولا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية) رواه أحمد وأبو داود والنسائي[3].

---

(١) جامع الترمذي برقم (٢١٦٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ومستدرك الحاكم ١١٤/١ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) مسند أحمد ٢٣٣/٥. وانظر مجمع الزوائد ٢٣/٢. والحديث في إسناده انقطاع لكن يشهد له ويقويه الحديث التالي.

(٣) مسند أحمد ١٩٦/٥، سنن أبي داود برقم (٥٤٧)، وسنن النسائي برقم (٨٤٧) وانظر صحيح الجامع برقم (٥٧٠١).

الفصل الثاني

أهم مظاهر ضعف الإيمان

ونتائجه التي تعيق الدعوة

سبق الكلام في التمهيد لهذا البحث عن التداخل بين أسباب ضعف الإيمان، وبين مظاهره، فكثير مما سبق الحديث عنه من أسباب ضعف الإيمان، يمكن اعتباره مظاهر لضعف الإيمان كذلك. وليس المراد في هذا الفصل حصر مظاهر ضعف الإيمان، ولا إحصاء نتائجه، إنما أردت الحديث عن أهم مظاهر ضعف الإيمان مما له صلة وثيقة، وأثر كبير في تعويق الدعوة.

من هنا فقد اكتفيت بالحديث عن ستة من مظاهر ضعف الإيمان، وهي من الأهمية بمكان بالنسبة لآثارها في تعويق الدعوة، وهي:

المظهر الأول: التهاون في ارتكاب المحرمات وأثره في تعويق الدعوة.

المظهر الثاني: التقصير في العبادات وأثره في تعويق الدعوة.

المظهر الثالث: المخالفة بين القول والعمل وأثرها في تعويق الدعوة.

المظهر الرابع: سوء الخلق وأثره في تعويق الدعوة.

المظهر الخامس: التثاقل عن واجبات الدعوة.

المظهر السادس: الإحباط واليأس من إمكانية الإصلاح وأثره في تعويق الدعوة.

المبحث الأول:

التهاون في ارتكاب المحرمات وأثره في تعويق الدعوة.

الإيمان القوي سياج حصين، يحمي صاحبه من وساوس الشيطان، ونور كاشف، يفضح تلبيس إبليس وتزيينه، ومراقبة لله جل وعلا، تنقذ العبد من بلادة الغافلين، واستهتار اللاهين، وتسلك صاحبها في عداد الخائفين من عذاب الله تعالى، وهل يجرؤ على معصية الله تعالى من خاف عذابه، ولم يغفل عن أليم عقابه ؟

أما حين يضعف إيمان العبد، فإنه لا يقوى على حماية صاحبه من كيد الشيطان، وتضعف مناعة المؤمن عندئذ أمام الشهوات والمغريات، ويقع في الغفلة عن عذاب ربه وحسابه، وتشغله الملهيات وتهون عليه المعاصي والمحرمات، يرتكبها دونما خوف من وخيم عقابها. وصدق عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، حين صور خوف المؤمن قوي الإيمان من الذنوب، وتهاون ضعيف الإيمان بها بقوله: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه،

وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا. قال أبو شهاب: بيده فوق أنفه) رواه البخاري[1].

قال ابن حجر: (قال المحب الطبري: إنما كانت هذه صفة المؤمن، لشدة خوفه من الله ومن عقوبته، لأنه على يقين من الذنب، وليس على يقين من المغفرة، والفاجر قليل المعرفة بالله، فلذلك قل خوفه، واستهان بالمعصية. وقال ابن أبي جمرة: السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم، فوقوع الذنب خفيف عنده، ولهذا تجد من يقع في المعصية، إذا وعظ يقول: هذا سهل)[2].

ويبين أنس بن مالك رضي الله عنه، شدة حذر الصحابة من المعاصي، وخوفهم من ارتكاب المحرمات، التي يراها كثير من الناس صغيرة، ولا تشكل خطورة على صاحبها، فيقول: (إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات) رواه البخاري[3].

أ - فالمسلم ينبغي أن يحذر الذنوب كبيرها وصغيرها، لأن الذنوب تترك ظلمة في القلب، وهذه الظلمة بمثابة المرض الذي يمنع القلب من قبول الهدى، والتأثر

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٣٠٨).

(٢) فتح الباري ١١/١٠٥.

(٣) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٢).

بالموعظة، وبذلك يصبح أكثر عرضة لخطر وساوس الشيطان وإغراءاته، وتضعف مناعته أمام المغريات، وإذا توالت المعاصي تكاثرت النقاط السوداء في القلب، حتى تغلفه وتسيطر عليه، فعندها لا يقبل الموعظة، ولا يعرف المعروف، ولا ينكر المنكر، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رواه الترمذي والحاكم[١].

وضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل البليغ لعاقبة تهاون المسلم بالذنوب، بحجة أنها ليست من الكبائر، فقال عليه الصلاة والسلام: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما انضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يأخذها صاحبها تهلكه) رواه أحمد[٢].

ب - والداعية لا ينبغي له أن يقف عند حدود ترك الحرام، بل ينبغي أن يجتنب الشبهات كذلك، ضماناً لسلامة

---

(١) تقدم ص ٣٢ و ١١٢ .

(٢) تقدم ص ١٠٠ .

دينه وعرضه، كما قال عليه الصلاة والسلام: (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه) رواه البخاري ومسلم[1].

وعن عطية السعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم[2].

واستبراء العرض مهم للداعية، لئلا يترك للأعداء ثغرة ينفذون منها للطعن في الداعية والدعوة، بإثارة الشبهات، وسوء التأويل، بقصد تنفير الناس من الداعية والدعوة التي يمثلها.

فالاحتياط في الدين، ومصلحة الدعوة يقتضيان أن يترك الداعية ما لا باس به حذراً مما به بأس،وحذراً من أن يستغله الأعداء لنشر قالة السوء، والدعاية السوداء. ويشهد لهذا قول الله جل وعلا: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴿٤٨﴾ ﴾ [**العنكبوت**].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٢)، وصحيح مسلم برقم (١٥٩٩) واللفظ له.

(٢) جامع الترمذي برقم (٢٤٥١) وقال: هذا حديث حسن غريب، وسنن ابن ماجه برقم (٤٢١٥) ومستدرك الحاكم ٣١٩/٤ وصححه ووافقه الذهبي.

وكذلك حديث صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنها، أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزوره في اعتكافه، في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار،فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما النبي :(على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً) رواه البخاري ومسلم [1].

قال ابن حجر: (وفيه التحرز من التعرض لسوء الظن، والاحتفاظ من كيد الشيطان، والاعتذار، قال ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء، ومن يقتدي به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم) [2].

ج – وحين يرتكب الدعية الذنوب، ويتهاون بالمعاصي، ولا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٠٣٥) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (٢١٧٥).

(٢) فتح الباري ٤/٢٨٠.

يبالي بالشبهات، يكون قدوة سيئة للآخرين من حوله، ويؤدي ذلك دوراً خطيراً وعظيم الضرر على الآخرين، فإن العامة إذا رأوا تهاون الداعية في ارتكاب المحرمات تجرءوا على العصيان، وركبوا الموبقات، وبذلك يكون الداعية قدوة سوء، وأسوة شر، ولا أفشل من هذا الداعية، ولا أضر على الدعوة منه.

د - وينبغي للداعية أن يعلم، أن المعاصي سبب قوي من أسباب الفشل في الدعوة، وعدم استجابة المدعوين، لأن من عقوبة المعاصي سوء السمعة بين الناس، وبغض المؤمنين للعصاة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض) رواه مسلم [1].

المبحث الثاني:

التقصير في العبادات وأثره في تعويق الدعوة

إن من مظاهر ضعف الإيمان نفرة القلب عن

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٦٣٧).

العبادات، وضعف إقبال النفس عليها، فالداعية ضعيف الإيمان، يؤدي الفرائض من الصلوات ولا يحسن أداءها، وتراه لا يحافظ على الجماعة في المسجد، ولا يشعر بالخشوع في الصلاة، وكثيراً ما يترك السنن الرواتب، وكذلك النوافل كصلاة الضحى وسنة الوضوء، وتحية المسجد، ولا يقوم من الليل إلا نادراً، ويكتفي من الصيام بأداء الفريضة، ولا يزيد على شهر رمضان من الصيام المندوب، كست من شوال، وصيام الاثنين والخميس، أو ثلاثة أيام من كل شهر.

ومن مفرزات ضعف الإيمان الشح بالمال، والحرص عليه، فلا يكاد ضعيف الإيمان يتم إخراج الزكاة المفروضة، أما الإنفاق المندوب فلا تطاوعه نفسه عليه، فلا يساعد محتاجاً، ولا يفك عسر مدين، ولا يمد يده بالعون إلى الأرامل والمساكين، والأيتام والمعوزين.

وأما ذكر الله تعالى فهو عنه غافل، لا يرطب لسانه بذكر ربه، ولا يحافظ على الأذكار في أدبار الصلوات، ولا على أذكار الصباح والمساء، ولا في الدخول والخروج، وغير ذلك من الأذكار المأثورة عن نبينا عليه الصلاة والسلام.

ويهجر القرآن، فلا يقرأه إلا قليلاً، وربما نسي بعض ما كان يحفظ من آيات القرآن الكريم وسوره، بدل أن تزيد حصيلته من الحفظ مع الأيام.

أثر هذا التكاسل في تعويق الدعوة:

أ - وهذا التكاسل عن العبادات، والتقاعس عن المندوبات، يحرم المسلم من ولاية الله عز وجل، وتوفيقه وهدايته، والداعية أحوج الناس إلى ولاية الله جل وعلا، ليتمكن من التصدي لضغوط الجاهلية، وتحمل الأذى في سبيل الله، والصبر على تكاليف الدعوة، والثبات أمام المغريات. إنه بدون ولاية الله تعالى وتوفيقه، ورعايته وحفظه، لن يتمكن داعية من تحقيق ذلك أبداً.

ب - ثم إن الداعية بتكاسله عن العبادات، وتقاعسه عن المندوبات يعطي القدوة السيئة للناس، فيؤدي في الدعوة دوراً معكوساً، ويكون له أثر سلبي في محيطه، وبين معارفه وجيرانه، فبدل أن يكون قدوة في الخير، وأسوة في الحرص على مرضاة الله تعالى، يرى فيه الناس الاجتهاد في الطاعة فيحاولون اللحاق به، ويرون فيه الهمة العالية في السعي إلى الجنة، فيتأثرون بمرآه، إذا بهم تفتر عزائمهم عن العبادة حين يرون زهده في السنن الرواتب، وإحجامه عن الإنفاق في سبيل الله، وتلكأه في ولوج أبواب الخير، وزهده في طرائق المثوبة.

وإن العبارات المنمقة، والكلمات المزخرفة في الخطب والمواعظ، مهما اعتنى بها هذا الداعية، فلن تستطيع

التـغلب علـى الأثـر السلبي، الذي يتـركـه فـي نفـوس الـناس تكاسله عن العبادات، وتقـاعسـه عن المندوبات، ولن تحـصد الدعـوة من مـثل هـذا الـداعـيـة غـيـر الـفـشـل والتـعـويق، والضعف والتخذيل.

ج - إن التـرغيب في الخـيـر باللسـان، والإحجـام عن الخـيـر بالفـعل يوقع الداعـيـة تحت طائلة المخـالفـة بين الـقـول والعـمل، ويدخله في من توجـه إلـيـهم الخـطاب الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف].

د - وأخيـراً فإن أخطر آثار التقصير في العبادات، خسـارة الجنة، التي نـدبنا الـنبـي عليـه الصـلاة والسـلام إلـى الاجتهاد في طلبهـا، مـا وسعنا الاجتهـاد في الطاعـة والعـبـادة، وكل داعـيـة بل كل مـؤمن ينبـغي أن يقف طويلاً، يتـأمل حـديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (من خاف أدلج ومن أدلـج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعـة الله غـاليـة، ألا إنّ سلعة الله الجنة) رواه الترمذي [1].

قـال الـنووي: (أدلـج مـعناه سـار من أول الليـل، والمراد التشمير في الطاعة) [2].

---

(١) جامع الترمذي برقم (٢٤٥٠) وقال: هذا حديث حسن غريب. وأنظر صحيح الجامع (٦٢٢٢)، والسلسلة الصحيحة برقم (٢٣٣٥).

(٢) رياض الصالحين ص١٦٦.

فالإنسان الذي يؤثر الراحة والكسل، لا يصل في حياته إلى أمر ذي بال، ولا ينجو بعد مماته من عذاب النار، فضلاً عن دخول الجنة، لأن سلعة الله غالية، وتحتاج إلى بذل جهد للفوز بها، وإلى تشمير عن ساعد الجد في مرضاة الله، وصبر على المكاره في سبيل الله.

ويبين النبي عليه الصلاة والسلام أن دخول الجنة لا يكون إلا بعد الصبر على المكاره في طريقها، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره) رواه البخاري ومسلم[(١)].

فعلى العاقل أن يجتهد في طاعة الله تعالى، ويغتنم فرصة عمره فيما ينفعه في آخرته، فإن الله جل وعلا يعطي الإنسان الصحة والشباب، والغنى والفراغ، ليكون له من ذلك وسائل ومراكب إلى طاعة الله وجنته، كما جاء في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك) رواه الحاكم، وأحمد في الزهد، وكذلك ابن المبارك في الزهد[(٢)].

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٨٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٢٢).

(٢) مستدرك الحاكم ٣٠٦/٤ وصححه ووافقه الذهبي. وأنظر فيض القدير ١٦/٢ وفتح الباري ٢٣٥/١١، وصحيح الجامع الصغير (١٠٧٧).

المبحث الثالث:

المخالفة بين القول والعمل وأثرها في تعويق الدعوة

عندما يقول الداعية قولاً جميلاً، ويشهد الناس منه فعلاً قبيحاً، وعندما يأمر الداعية بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، يكون هذا الداعية ضعيف الإيمان، ولو قوي إيمانه لاتسق فعله مع قوله، ولاستقام سلوكه مع توجيهه. ذلك أن التلازم بين القول والعمل، والعلم والسلوك، أمر ذو سند قوي في هذا الدين، وهو يستند إلى ركائز أربع فيه:

الركيزة الأولى: هي الارتباط العضوي بين الإيمان والعمل:

حيث إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، فالعمل جزء من الإيمان، كما يدل على ذلك نصوص الكتاب والسنة، ومنها قول الله جل وعلا: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]. أي صلاتكم[(١)] فسمى الصلاة إيماناً. ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/٢٨٦، وتفسير القرطبي ٢/١٥٧.

(الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) رواه البخاري ومسلم[1].

الركيزة الثانية: تأخر نزول آيات الأحكام إلى العهد المدني:

حيث أصبح تطبيقها ممكناً، ولم يشأ الله تعالى أن ينزل آيات الأحكام في العهد المكي، فيتعلم المسلمون أحكامها، ويخزنوها حتى يصبح تطبيقها ممكناً، لما ينتج عن ذلك من الفصل بين العلم والعمل، وأمثلة ذلك كثيرة: كأحكام تحريم الخمر والربا، و فرض الحجاب والحدود، وأحكام الميراث، وأحكام الجهاد والجزية، وغير ذلك كثير.

يقول سيد قطب في مقدمة تفسيره لسورة الأنعام: (والمسلمون في مكة لم يكن لهم سلطان على أنفسهم ولا على مجتمعهم، وما كانت لهم حياة واقعية مستقلة هم الذين ينظمونها بشريعة الله. ومن ثم لم ينزل الله في هذه الفترة تنظيمات وشرائع، وإنما نزل لهم عقيدة، وخلقاً منبثقاً من العقيدة، بعد استقرارها في الأعماق البعيدة، فلما صارت لهم دولة في المدينة ذات سلطان، تنزلت عليهم الشرائع، وتقرر لهم النظام، الذي يواجه حاجات المجتمع المسلم الواقعية، والذي تكفل له الدولة بسلطانها الجدية والنفاذ.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٩)، وصحيح مسلم برقم (٣٥) واللفظ له.

ولم يشأ أن ينزل عليهم النظام والشرائع في مكة، ليختزنوها جاهزة، حتى تطبق بمجرد قيام الدولة في المدينة. إن هذه ليست طبيعة هذا الدين، إنه أشد واقعية من هذا، وأكثر جدية)[1].

الركيزة الثالثة: اعتماد التربية النبوية مبدأ التلقي للتنفيذ:

فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يربي أصحابه، على أن العلم يتلقاه المسلم ليطبقه مباشرة، ولا يمكن للمسلم أن يتعلم في مرحلة، ثم يؤخر تطبيق ما تعلمه إلى مرحلة أخرى ولذلك فقد كان الصحابة رضي الله عنهم، يأخذون القرآن عشر آيات بعد عشر آيات، يتعلمون ويطبقون في آن واحد، وفي ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمي، عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه: (كنا إذا تعلمنا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات من القرآن، لم نتعلم من العشر الذي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه. قيل: لشريك من العمل ؟ قال: نعم) رواه الحاكم[2]. وفي مسند الإمام أحمد: فعلمنا العلم والعمل[3].

وهذه التربية النبوية، كان من أثرها، مبادرة الصحابة

---

(١) في ظلال القرآن ص١٠١٠.

(٢) مستدرك الحاكم ١/٥٥٧ وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أنظر الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد ١٨/٩. ومجمع الزوائد ١/١٦٥.

رضي الله عنهم، إلى تطبيق الأوامر الشرعية بمجرد علمهم بها دون تأخير، فعندما نزل تحريم الخمر بادروا إلى تكسير دنان الخمر، وإراقة ما فيها، وانتهوا عن شربها. وعندما نزلت آية الحجاب بادرت النساء إلى الالتزام بالحجاب مباشرة. كما أخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أم سلمة، رضي الله عنها قالت: لما نزلت هذه الآية (يدنين عليهن من جلابيبهن) خرج نساء الأنصار كأن على رءوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها [1].

واخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: رحم الله نساء الأنصار، لما نزلت (يا أيها الرسول قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين..) شققن مروطهن فاعتجرن بها، فصلين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما على رءوسهن الغربان [2].

الركيزة الرابعة: النهي الشديد عن المخالفة بين القول والعمل:

وذلك في نصوص الكتاب والسنة، ومنها قول الله جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف].

وقول الله سبحانه: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ

(١) سنن أبي داود برقم (٤١٠١)، وأنظر الدر المنثور للسيوطي ٦/٦٥٩.

(٢) الدر المنثور ٦/٦٦٠.

تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه) رواه البخاري ومسلم [١].

وهذا الوعيد الشديد على المخالفة بين القول والعمل، لا يعني أن الإنسان ينبغي له السكوت عن الأمر بالمعروف، والكف عن الدعوة إلى الخير، إذا لم يكن على أحسن حال. إنما يعني أن عليه واجبين: أحدهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثاني هو فعل المعروف وترك المنكر. فإذا ترك أحد الواجبين لم يسقط عنه الواجب الآخر. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] (فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف. وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيف، واضعف منه تمسكهم بهذه الآية، فإنه لا حجة لهم فيها. والصحيح أن

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٧) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٩).

العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه.

قال مالك عن ربيعة[1] سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر.

قال مالك: صدق من ذا الذي ليس فيه شيء)[2].

وقال القرطبي: (قال الحسن[3] لمطرف[4] بن عبد الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل. قال: يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول، ويود الشيطان أنه ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر)[5].

أثر المخالفة بين القول والعمل في تعويق الدعوة:

أ – عدم استجابة الناس لدعوة من يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه لذلك ترى شعيباً عليه السلام حرص على أن ينفي عن نفسه هذه الصفة المرذولة. بقوله:﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي

---

(١) ربيعة بن أبي عبد الرحمن المدني المعروف بربيعة الرأي تابعي ثقة فقيه مشهور (ت/١٣٦) أنظر التقريب ١/٢٤٧

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٢٩.

(٣) هو ابن أبي الحسن البصري التابعي المشهور.

(٤) مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري من كبار التابعين ثقة عابد (ت/٩٥) أنظر التقريب ٢/٢٥٣.

(٥) تفسير القرطبي ١/٣٦٦.

منهُ رِزْقًا حسنًا وما أُريد أَنْ أُخالفكُمْ إلىٰ ما أَنْهاكُم عَنْهُ إنْ أُريدُ إلاَّ الإصْلاحَ ما اسْتَطعْتُ وما توْفيقِي إلاَّ باللَّه عليْه توكَّلْتُ وإليْه أُنيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ب – الناس يتأثرون بأفعال الداعية أكثر من تأثرهم بأقواله، لأن القدوة العملية أبلغ في التأثير، وحيث إن أفعال هذا الداعية ليست قويمة، لذلك فإن أثره في الدعوة سيكون سلبياً.

ويحدثنا ابن الجوزي من خلال تجربته الشخصية، كم تترك أفعال الداعية من أثر بليغ في نفوس من حوله، وكم تتفوق الأفعال على الأقوال في التأثير، وذلك حين يحكي عن شيخه أبي البركات، عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، فيقول: (كنت أقرأ عليه وهو يبكي، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريق السلف، انتفعت به ما لم أنتفع بغيره، رحمه الله)[١].

ج – إثارة الشك والارتياب في صدق الداعية، ثم في صدق الدعوة في نفوس المدعوين، كما يقول سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] (والدعوة إلى الخير والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك، لا في الدعاة وحدهم، ولكن في

---

(١) أنظر الخبر في ترجمة عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي الحافظ الثقة المتقن المتوفى سنة (٥٣٨ هـ) في سير أعلام النبلاء ٢٠/١٣٤، وتذكرة الحافظ ٤/١٢٨٤.

الدعـــوات ذاتهـــا. وهـي التـي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً، ويشهدون فعلاً قبيحاً، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل.. ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين)[1]. ولعل واقع النصارى في ديار الغرب أصدق دليل على صحة هذا الكلام.

المبحث الرابع:

سوء الخلق وأثره في تعويق الدعوة

المظهر الرابع من مظاهر ضعف الإيمان، التي تعيق الدعوة، سوء خلق الداعية، وسوء الخلق مظهر لضعف الإيمان، كما أن حسن الخلق مظهر لقوة الإيمان، وذلك لما بين الخلق وبين الإيمان من ارتباط وثيق، فالأخلاق الفاضلة من شعب الإيمان، كما جاء في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) رواه البخاري ومسلم[2].

المطلب الأول: أدلة أن حسن الخلق مظهر لقوة الإيمان:

الارتباط الوثيق بين حسن الخلق وبين قوة الإيمان

---

(١) في ظلال القرآن ص٦٨.

(٢) الحديث تقدم ص١٣٢.

تؤكده أحاديث كثيرة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أ – فالنبي عليه الصلاة والسلام بين أن البر هو حسن الخلق، ومعلوم أن البر كلمة جامعة لمعاني الخير [1]، والحديث رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: (البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه مسلم [2].

ب – ليس هذا فحسب، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام جعل حسن الخلق مقياس كمال الإيمان، فكلما كان الخلق أكمل كان الإيمان أقوى، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) رواه الترمذي وأبو داود والحاكم [3].

ج – وحسن الخلق عبادة من أفضل العبادات، يدرك ثوابها ثواب أعظم العبادات، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن المسلم ليدرك بحسن خلقه

---

(١) أنظر تفسير القرطبي ٢/٢٣٨.

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٣).

(٣) جامع الترمذي برقم (١١٦٢) وقال هذا حديث حسن صحيح، وسنن أبي داود برقم (٤٦٨٢)، ومستدرك الحاكم ١/٣ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر صحيح الجامع برقم (١٢٣٠)، والسلسلة الصحيحة برقم (٢٨٤).

درجة الصائم القائم) رواه أبو داود والحاكم[1].

د - بل إن ثواب حسن الخلق يثقل ميزان صاحبه يوم القيامة أكثر من أي شيء آخر، كما جاء في حديث أبي الدرداء، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء) رواه الترمذي[2].

هـ - ويغدو حسن الخلق بناء على ذلك، من أقوى أسباب دخول الجنة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال: تقوى الله وحسن الخلق. وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال: الفم والفرج) رواه الترمذي، والبخاري في الأدب المفرد، والحاكم[3].

و - بل ويبلغ الأمر بحسن الخلق، أن يتكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه ببيت في أعلى الجنة،

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٧٩٨)، ومستدرك الحاكم ١/٦٠ وصححه ووافقه الذهبي، وانظر صحيح الجامع برقم (١٩٣٢).

(٢) جامع الترمذي برقم (٢٠٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وانظر الجامع برقم (٥٦٣٢)، والسلسلة الصحيحة برقم (٨٧٦)..

(٣) جامع الترمذي برقم (٢٠٠٤) وقال: هذا حديث صحيح غريب، والأدب المفرد برقم (٢٨٩)، ومستدرك الحاكم ٤/٣٢٤ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر صحيح الأدب المفرد برقم (٢٢٢).

كما جاء في حديث أبي أمامه الباهلي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه أبو داود والترمذي[1].

ز - وطبيعي بعد ذلك أن تكون درجة العبد عند ربه بحسب حسن خلقه، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أحب عباد الله إلى الله ؟ قال: (أحسنهم خلقاً) رواه الطبراني[2].

ح - ومن أحبه الله، أحبه رسول الله، وقربه من مجلسه يوم القيامة، كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً) رواه الترمذي[3].

وبذلك يظهر لنا كم هو الارتباط وثيق بين حسن الخلق وقوة الإيمان.

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٨٠٠)، وجامع الترمذي برقم (١٩٩٣) وقال: حديث حسن، وأنظر صحيح الجامع برقم (١٤٦٤) والسلسلة الصحيحة برقم (٢٧٣).

(٢) أنظر مجمع الزوائد ٨/٢٤، وانظر صحيح الجامع (١٧٩)، والسلسلة الصحيحة (٤٣٢).

(٣) جامع الترمذي برقم (٢٠١٨) وقال الترمذي: حسن غريب. وأنظر السلسلة الصحيحة برقم (٧٩١).

المطلب الثاني: أدلة أن سوء الخلق مظهر لضعف الإيمان:

إن كل الأدلة الواردة في المطلب الأول، تدل بمفهوم المخالفة على أن سوء الخلق مظهر لضعف الإيمان، ولكن نزيد القضية إيضاحاً فنقول:

أ - قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

فسمى نماذج من سوء الخلق فسوقاً(١).

ب - حديث أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها.. الحديث(٢).

ج - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش البذيء) رواه الترمذي(٣).

ونفي هذه الصفات عن المؤمن، يعني أن المتصف بها ضعيف الإيمان. وفي هذا كفاية، ولا أطيل بسرد الأدلة الكثيرة.

---

(١) أنظر تفسير القرطبي ١٦/٣٢٨.

(٢) الحديث تقدم ص١٧ .

(٣) جامع الترمذي برقم (١٩٧٧)، وقال: حديث حسن غريب، وانظر صحيح الجامع برقم (٥٣٨١)، والسلسلة الصحيحة برقم (٣٢٠).

المطلب الثالث: أثر خُلُق الداعية في عمله الدعوي.

من المسلم به أن الناس يسرهم من الداعية حسن خلقه، كما يسوؤهم منه سوء خلقه، فإذا رأوا داعية حسن الخلق أقبلوا عليه، واستمعوا إليه، وأحبوه، وقبلوا منه ما يدعوهم إليه، ولذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) رواه البزار[(١)].

وكثيراً ما كان حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم سبباً في إسلام الناس، وكان صلى الله عليه وسلم يوصي الدعاة بحسن الخلق، لما له من أثر في قبول الدعوة، ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) رواه البخاري ومسلم[(٢)].

والدعاة ينبغي أن يكونوا على ذكْر دائم، من قول الله تعالى لنبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٩٧: رواه أبو يعلي والبزار من طرق أحدها حسن. وأنظر كشف الأستار الأرقام ١٩٧٧/١٩٧٨/١٩٧٩. والحديث ضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢، لأن فيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف. وتبعه الشيخ ناصر الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٦٣٤)، وضعيف الجامع برقم (٢٠٤٣) بناء على أن البيهقي صرح بتفرد المقبري به، وكذلك الهيثمي في المجمع، لكن بمراجعة كشف الأستار يتبين أن المقبري لم يتفرد به، وأن أحد أسانيد البزار ليس فيه المقبري. وبالتالي فكلام المنذري هو الذي عليه المعول. والله أعلم.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٩)، وصحيح مسلم برقم (١٧٣٤).

لانفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذا، وإن نفرة الناس من كل داع سيئ الخلق أمر لا يحتاج إلى بيان، ولا يفتقر إلى دليل ولا برهان، فهو مما يشاهده كل ذي عينين، ولقد كان يشدد النكير على الدعاة الذين لا يلتزمون بحسن الخلق مع المدعوين، فيتعاملون مع جمهورهم بغلظة، أو جفاء، أو شدة، كما جاء في حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم أمَّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة) رواه البخاري ومسلم[(١)].

ومن عجب أن بعض الدعاة لا تلقاه إلا عابساً مكفهر الوجه، يثير الرعب في قلوب الصغار والنساء منظره، كأنه جلاد، أو رجل أمن، مع أن الثابت من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم كثرة تبسمه في وجوه الناس، كما قال جرير ابن عبد الله رضي الله عنه، (ما حجبني رسول الله

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٠٢)، وصحيح مسلم برقم (٤٦٦) واللفظ له.

صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي) رواه مسلم[1].

المبحث الخامس:

التثاقل عن واجبات الدعوة:

التثاقل عن واجبات الدعوة، والتهاون في أدائها، والتكاسل عن الالتزام بها مظهر من مظاهر ضعف الإيمان، وعلامة من علاماته، وعلى ذلك أدلة عديدة.

المطلب الأول: الأدلة على أنه مظهر لضعف الإيمان:

أ - من المعروف أن الإيمان القوي يبعث في صاحبه القوة والنشاط لتنفيذ أمر الله، ويطلق في نفسه المبادرة والمسارعة إلى أداء ما أوجب الله، من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، والجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٦٣٦٤).

أما الإيمان الضعيف، فإنه لا يقوى على حمل صاحبه على تحمل المكاره في سبيل الله، ولا على ركوب الأهوال طلباً لمرضاة الله، لذلك ترى صاحب الإيمان الضعيف متثاقلاً عن واجبات الدعوة، مبطئاً عن الجهاد في سبيل الله، متكاسلاً عن أداء دوره، في الدعوة إلى الخير، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متهرباً من تحمل الأعباء، متغيباً عن مواطن البذل والتضحية، كما قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وقال سبحانه: ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ﴾ [التوبة].

ب - بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي لا يغزو، ولا يحدث نفسه بالغزو، إنما هو على شعبة من النفاق، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من النفاق) رواه مسلم[1].

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٩١٠).

ج - وبين عليه الصلاة والسلام أن التقاعس عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سبب اللعنة من الله تعالى كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله و شريبه، وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾ [المائدة]. ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننكم كما لعنهم) رواه أبو داود، والترمذي [(١)]. هذا

---

(١) سنن أبي داود برقم (٤٣٣٦)، وجامع الترمذي برقم (٣٠٤٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال النووي: (قوله تأطروهم: أي تعطفوهم. ولتقصرنه: أي لتحبسنه). رياض الصالحين ص٩٧ طبعة .. .

لفظ أبي داود، ولفظ الترمذي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وواكلوهم، وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، قال: فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان متكئاً، فقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً).

د - وفي حديث ابن مسعود أن الجهاد من لوازم الإيمان، فمن تركه بكل درجاته لم يكن له نصيب من الإيمان، ونصه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) رواه مسلم[١].

ومعلوم أن الجهاد باللسان هو الدعوة إلى الخير،

---

(١) صحيح مسلم برقم (٥٠).

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ويؤيد هذا المعنى ما جاء من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه) رواه مسلم[1].

فالحديث يدل على أن القلب الذي لا يبالي من رؤية المعاصي و المنكرات، فلا يتحرك بصاحبه لإنكار المنكر وإصلاح الخلل، بل ولا ينفعل بكراهة المعاصي، قلب خرج منه نور الإيمان. قال الحافظ المنذري: (ومعنى الحديث أن القلب إذا افتتن، وخرجت منه حرمة المعاصي والمنكرات، خرج منه نور الإيمان، كما يخرج الماء من الكوز إذا مال أو انتكس)[2]. وكل ذلك يدل دلالة واضحة على أن التقاعس عن واجبات الدعوة، من مظاهر ضعف الإيمان وعلاماته.

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٤٤).

(٢) الترغيب والترهيب ٣/١٨٦.

المطلب الثاني: أسباب التثاقل عن واجبات الدعوة:

أ - إيثار الراحة والكسل:

وتثاقل الداعية عن واجبات الدعوة، بعد كونه من مظاهر ضعف الإيمان وعلاماته، إنما ترغب فيه نفس الداعية ضعيف الإيمان، إيثاراً للراحة والكسل، وميلاً إلى اللهو واللعب، ورغبة في الاستمتاع بمتاع الحياة الدنيا، وهروباً من التعب والنصب في أداء واجبات الدعوة، ونفرة من مكابدة المشاق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونأياً عن تحمل المتاعب في التصدي للشر والفساد، والفسوق والعصيان في المجتمع.

والنفس الأمارة بالسوء بطبيعتها تميل إلى الراحة، وتهوى الكسل، وترغب في اللهو، وتتعلق بالشهوات والملذات، وما لم يكن للداعية من قوة الإرادة، والرغبة في الآخرة، ما يحمله على الاجتهاد في طاعة الله، فإنه متقاعس عن واجبات الدعوة.

ب - الغفلة عن الدار الآخرة:

إن المؤمن حين يذكر يوم القيامة، ويذكر وقفة الحساب والجزاء بين يدي رب العالمين، ويذكر النار وما أعد فيها للعصاة، والجنة وما أعد فيها للطائعين، تراه مجتهداً في طاعة الله تعالى، مشمراً عن ساعد الجد، ويسهل عليه تحمل المتاعب في الدنيا، رغبة في الفوز والنجاة يوم

القيامة. أما حين يغفل عن الآخرة، وعن الجنة والنار، فإنه يفقد القدرة على فعل الواجبات ويميل إلى التقصير في الطاعات، وتغلبه نفسه الأمارة بالسوء.

لذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نكثر من ذكر الموت، فيقول: (أكثروا ذكر هاذم اللذات – يعني الموت – فإنه ما كان في كثير إلا قلله، ولا قليل إلا جزأه) رواه الطبراني [1].

والقرآن الكريم يبين في مواضع متعددة، أن من أسباب كفر الكافرين، الغفلة عن الآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

ج – الغرور:

وقد يكون سبب التقاعس عن واجبات الدعوة، والتثاقل عن أداء مهماتها غرور في نفس الداعية. والغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة، وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور [2].

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٠٩: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناد حسن. وانظر صحيح الجامع برقم (١٢٢١).

(٢) أنظر إحياء علوم الدين ٣/٣٧٩.

والغرور أقسام:

١ – غرور بعفو الله، وكرمه، ورحمته، يؤدي إلى التقصير في أداء الواجبات الشرعية، ومنها واجبات الدعوة والجهاد لنصرة الدين.

وهنا ينبغي التمييز بين الغرور برحمة الله وعفوه، وبين الرجاء في رحمة الله وعفوه. فالغرور مذموم، والرجاء ممدوح، والرجاء يكون مع العمل الصالح، أما الغرور فيكون مجرداً من العمل، لأنه مجرد أماني وأحلام.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة].

فشرط للرجاء الإيمان والهجرة والجهاد في سبيله.

٢ – وغرور بالعمل القليل، والجهد الزهيد، واعتباره كافياً في الخروج من عهدة التكليف، وأداء الواجب. وهذا من قلة العقل، ومن الجهل، وتلاعب الشيطان، فإن العبد مهما عمل فعمله قليل في جنب حق الله عليه، وفي جنب جنة عرضها السموات والأرض.

وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تفطرت قدماه، وجاهد في الله جهاداً متواصلاً لا هوادة فيه، وتحمل كثيراً من المتاعب، والمشقات، والأذى في طريق الدعوة، ومع ذلك يرى أن عمله لا يؤهله لدخول الجنة، إلا برحمة الله وفضله، كما جاء في حديث عائشة

رضي الله عنها، أنها كانت تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سددوا، وقاربوا، وابشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عملُه. قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة) رواه البخاري ومسلم [1].

٣ - وغرور بالاشتغال بالمفضول من العمل عن الفاضل، وبالمندوب عن الفريضة، وبفرض الكفاية عن فرض العين. والدعوة إلى الله تعالى أفضل الأعمال، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣].

والجهاد في سبيل الله أعلى العبادات أجراً، كما أن ذروة سنام البعير هي أرفع شيء فيه، وذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد) رواه الترمذي [2].

فمن الغرور أن يزهد الداعية في الدعوة إلى الله تعالى، وفي الجهاد في سبيل الله، ويشتغل بشيء آخر، وهو يظن أنه يمكن تحصيل ثواب الجهاد، وأجر الدعوة في باب آخر من العمل، كيف، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٨١٨) واللفظ له.

(٢) جامع الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وانظر صحيح الجامع الصغير برقم (٥١٣٦).

دل على خير فله مثل أجر فاعله) رواه مسلم[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) رواه مسلم[2].

وأخيراً فحينما يتثاقل الداعية عن واجباته الدعوية، فإن ذلك يترك آثاراً ضارة تؤدي إلى تعويق الدعوة، والأمر أوضح من أن يحتاج إلى بيان فيما أرى، والله أعلم.

المبحث السادس:

الإحباط واليأس من إمكانية الإصلاح وأثره في تعويق الدعوة:

وهو المظهر السادس من مظاهر ضعف الإيمان، وعلاماته، وآثاره في تعويق الدعوة كبيرة وخطيرة:

المطلب الأول: الأدلة على كونه من مظاهر ضعف الإيمان:

من مظاهر ضعف الإيمان أن يصاب الداعية بالإحباط، ويستقر في نفسه اليأس من إمكانية إصلاح الفساد في المجتمع، فالإحباط يقتل الهمم، واليأس من الإصلاح يدمر العزائم، والإنسان المحبط لا يمكن أن يقوم بعمل مثمر، ولا يعتمد عليه في تحقيق برنامج طموح، لأنه

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٩٣).

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٦٧٤).

فاقد الطموح، عديم الأمل، وفاقد الشيء لا يعطيه.

واليأس ينافي قوة الإيمان، والقنوط يناقض اليقين، لأن الإيمان يقتضي الرجاء في رحمة الله تعالى، واليقين يستلزم الثقة بقدرة الله على كل شيء. والله جل وعلا يبين لنا في كتابه الكريم، أن المؤمن ينبغي أن لا ييأس من روح الله، قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: (فأما المؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بروحه، الشاعرون بنفحاته المحيية الرخية، فإنهم لا ييأسون من روح الله، ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق. وإن المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو في مضايق الشدة ومخانق الكرب)[١].

و يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسير الآية: (فإن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، والإياس يوجب له التثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد فضل الله وإحسانه، ورحمته ورَوحه،.. ثم قال:

---

(١) في ظلال القرآن ص٢٠٢٦.

ودل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه)[1].

ويقول الله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الحجر].

ووقوع الداعية فريسة الإحباط، يكبله اليأس من الإصلاح، ويقيده فقدان الأمل في نجاح الدعوة، بعد كونه من مظاهر ضعف الإيمان، له أسباب يمكن أن نذكر أهمها.

المطلب الثاني: أسباب إحباط بعض الدعاة:

١ - استبطاء النصر:

عندما يقرأ الداعية ضعيف الإيمان في كتاب الله تعالى الوعد بنصر المؤمنين، في مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧]. وقوله جل وعلا: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]. وتمر سنوات وسنوات، ولا يرى نصر الله تعالى يتنزل على عباده المؤمنين، ولا العذاب يطبق على الكافرين، عندئذ يقول متى نصر الله؟ ويبدأ اليأس يتسلل إلى قلبه، والإحباط يعشش في نفسه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٥٩.

وفي الحقيقة: إن نصر الله قريب، ولكن النصر يتنزل عندما تتحقق في حياة المؤمنين أسبابه، وكذلك عندما تقتضي حكمة الله تعالى تنزل النصر على عباده المؤمنين، والمؤمن لا ينبغي أن يعلق نفسه، ونشاطه، وعمله بمجيء النصر، فهو آت وقريب، ولكن الزمن في ميزان الله تعالى، ليس كما هو في اعتبارنا، والإنسان عجول، والله جل وعلا لا يعجل لعجلتنا.

ثم إن المؤمن ينبغي أن يؤدي واجبه في الدعوة، وينتظر على ذلك الأجر والمثوبة في الآخرة،

وكفى بمثوبة الله تعالى جزاء على كل ما يبذله الداعية في حياته، أما النصر فينزله الله تعالى في الوقت المناسب، بحسب حكمة الله تعالى وعلمه، والنصر حين يتنزل، إنما يتنزل لنصرة دين الله تعالى وإعلاء كلمته، لا لحساب أحد من البشر ومصلحته.

٢ - الانبهار بقوة الباطل وانتفاشه:

عندما يضعف إيمان الداعية، يملأ نفسه الإعجاب بقوة الباطل، ويبهره ما يرى من البريق الخادع، ومظاهر الانتفاش حول الباطل وأهله، وما يتمتعون به من سلطان ظاهر، وما يحيط بهم من أنواع القوة المادية: عسكرية، واقتصادية، وسياسية، وإعلامية.

عندئذ يرى هذا الدعية أنه لا سبيل إلى التغلب على

أهل الباطل، ولا أمل في هدايتهم، وهم يزدادون عتواً واستكباراً، وإمعاناً في الضلال، وإعجاباً بما هم فيه من زينة الحياة الدنيا. فيبدأ اليأس يتسلل إلى قلبه، والإحباط يعشش في نفسه.

ولو لا ضعف إيمان هذا الداعية، لعلم أن قوة الله تعالى لا تعدلها قوة، ولكان له في قول الله جل وعلا: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. عاصم من اليأس والإحباط. وفي قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. حافظ من القنوط وفقدان الأمل. ولكان له نبراس يبدد ظلمات اليأس، يستفيده من الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: (يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد

كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) رواه الترمذي[1].

ولو كان الداعية قوي الإيمان لما نسي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

٣ - الخوف من الأذى:

إن الحرب الشرسة، المسلطة من أعداء الله تعالى على أوليائه من الدعاة، وإن الهمجية والقسوة التي يتعاملون بها مع الدعاة، تجعل بعضاً من الدعاة يحجمون عن متابعة الطريق، خوفاً من الأذى الشديد، والضرر البالغ على أنفسهم، وعلى أولادهم، وأهليهم. فيصيبهم الإحباط واليأس من الإصلاح. قال ابن القيم: (فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم)[2] وفي الحقيقة إن ما يلقاه الدعاة من أعدائهم شيء فظيع، ولكن المؤمن له في أجر الله تعالى ومثوبته عزاء، وله فيما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى في سبيل الله عزاء، وله في قول تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن

---

(١) جامع الترمذي برقم (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وانظر صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧)

(٢) إغاثة اللهفان ١/١٨٦.

قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقوله جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة]. له في ذلك ما يجعله يستعد لمواجهة المتاعب والمصائب في الحياة، برباطة جأش، وقوة صبر، وعظيم احتمال.

ولقد ندد القرآن الكريم بالذين يقبلون على عبادة الله تعالى وطاعته في الرخاء والعافية، فإذا أصابتهم الضراء أحجموا عن الطاعة. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

وبين لنا ربنا سبحانه، أن طريق الجنة لا بد فيه من الصعاب، ولا بد من المحن فيه والابتلاء هذه هي سنة الله في الأولين، ولن تجد لسنة الله تبديلا. كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وهذا لا يعني أن الداعية يحرص على التعرض للبلاء، لا بل عليه أن يسأل الله تعالى العافية، ويحاول تجنب

أسباب البلاء، ولكنه إذا ابتلي يصبر، كما جاء في حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا) رواه البخاري ومسلم[1].

٤ – ضعف استجابة المدعوين:

عندما يضعف إيمان الداعية، لا يكون لموعظته أثر في قلوب السامعين، لأن الموعظة تفقد حرارة الإيمان، وقد يكون ضعف استجابة المدعوين لتأصل الفساد في نفوسهم، أو لإحاطة الشهوات بهم، أو لأن لهم مصالح في الحياة الجاهلية يحرصون على أن لا يخسروها، أو لغير ذلك من الأسباب، المهم أن الداعية ضعيف الإيمان حين يرى ضعف استجابة المدعوين، يبدأ اليأس يتسلل إلى قلبه، والإحباط يعشش في نفسه.

ولمثل هذا الداعية أقول: إن المطلوب من الداعية بذل الجهد في الدعوة، واستفراغ الوسع في محاولة الإصلاح، وفي التصدي للباطل والفساد، أما النتائج فلا يحاسب الله الدعاة عليها. إنما يحاسبهم على ما بذلوا من جهد، ويأجرهم على ما قدموا من عمل، وإن لم يستجب لهم المدعوون.

ولا ينبغي للداعية أن يثبط من عزمه ما يلقاه من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٣٠٢٥) واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢).

صدود الناس عن دعوته، وعدم استجابتهم لندائه، فإن في نوح عليه السلام شيخ المرسلين أسوة وقدوة، حيث استمر في الدعوة إلى الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً، على الرغم من قلة المستجيبين لندائه، المتجاوبين مع دعوته. قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠].

ولم ينقص من مرتبة نوح قلة المؤمنين به، فهو من أولي العزم من الرسل عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

ويحدثنا النبي عليه الصلاة والسلام، أن من الأنبياء من لم يؤمن به إلا الرجل والرجلان، ومنهم من لم يؤمن به أحد، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: (عرضت علي الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد) رواه البخاري ومسلم [(١)].

المطلب الثالث: آثار الإحباط في تعويق الدعوة:

١ - الإحباط يعطل طاقات الدعاة، ويكبل أيديهم، ويقيد أرجلهم، ويوقف نشاطهم، لذلك فإن أثره على الداعية وخيم، وهو من أشد معوقات الدعوة، وأكثرها ضرراً.

(١) صحيح البخاري (٥٧٥٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٢٠).

٢ - الإحـبـاط يؤدي إلى التـشـاؤم، والنظرة السـوداوية، وتفسير الأحداث والوقائع تفسيراً خاطئاً، لأنه يضع على عيني بصيرة صاحبه نظارة سوداء.

٣ - الإحباط يفقد الداعية الثقة بنفسه، وكفاءته وقدرته، ويجعله يشك في إمكانية النجاح في أي مسعى، وبذلك يفوت على نفسه ودعوته كثيراً من الفرص، بتردده، وتشككه في قدرته، وأهليته.

الفصل الثالث

علاج ضعف الإيمان

إن العناية بقوة الإيمان، والاهتمام بسلامته من أسباب الضعف، أولى ما ينبغي أن تتوجه إليه همة الداعية، لأن قوة الإيمان هي العدة لأداء الواجبات، وهي السلاح في التصدي لكيد الأعداء، وهي المؤهل لرضوان الله تعالى والجنة، لذلك فإن الداعية الموفق ينبغي:

أولاً: أن يحرص على البعد عن أسباب ضعف الإيمان جميعها، وأن يجتنب كل ما فيه خطر على إيمانه، من الشبهات والشهوات، والأخلاق السيئة، والسلوكيات المنحرفة، وأن يحصن نفسه من شباك الشيطان ومصائده، لأن الوقاية خير من العلاج.

ثانياً: ينبغي أن يجتهد في طاعة الله تعالى وعبادته، لأن الإيمان يزيد بالطاعة، فالاجتهاد في العبادات هو السبيل الأمثل إلى علاج ضعف الإيمان، وهو الوسيلة المؤكدة لتحصيل قوة الإيمان، قوة تؤهل الداعية لسلوك طريق الدعوة بنجاح، واحتمال ما فيه من مشقات، ومتاعب، وتضحيات.

ثم إن الاجتهاد في العبادة هو طريق الفوز بمحبة الله تعالى وولايته، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله

عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري[١].

والداعية أحوج الناس بعد قوة الإيمان إلى محبة الله تعالى وولايته، ليكون ناجحاً في دعوته، موفقاً في أداء مهماته، رشيداً في اتخاذ قراراته، يدافع عنه ربه، ويؤذن أعداءه بالحرب والنكال.

والمقصود بالاجتهاد في العبادة: أداء الفرائض بإتقان، و الإكثار من النوافل تقرباً إلى الله تعالى، كما جاء في الحديث السابق.

هذا وإن الله تعالى أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاجتهاد في قيام الليل، وفي الذكر مع التبتل، استعداداً لبدء مسيرة الدعوة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢).

وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ ﴾ [المزمل].

قال ابن كثير: (وتبتل إليه تبتيلاً: أي اخلص له العبادة. قال: وقال ابن جرير: يقال للعابد متبتل، ومنه الحديث المروي نهى عن التبتل، يعني الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج)[1].

ويقول سيد قطب في تفسير هذه الآيات: (إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة.. قال: وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها، والاتصال بالله وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه، والخلوة إليه، وترتيل القرآن.. إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ، والجهد المرير الذي ينتظر الرسول، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، وينير القلب في الطريق الشامل الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير)[2].

١ - فالداعية الموفق يكون له ورد من قيام الليل، لا يشغله عنه عمل من أعمال الدنيا، هكذا كان الدعاة فيما مضى، وهكذا ينبغي أن نكون، كما جاء عن رسول الله

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/١٩٢.

(٢) في ظلال القرآن ص٣٧٤٤ - ٣٧٤٥.

صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم). رواه الترمذي والحاكم[1].

٢ – ويكون له ورد من الصيام، فالصيام أجره عظيم، وثوابه جزيل، ولا يعدله شيء، كما جاء عن أبي أمامه رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله مرني بعمل، قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له. قلت: يا رسول الله مرني بعمل، قال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له. قلت: يا رسول الله مرني بعمل، قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له) رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان[2].

٣ – وينبغي أن يحرص الداعية على ذكر الله عز وجل، فإن الله جل وعلا أمرنا بالذكر الكثير، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب].

وبالذكر يحصل العبد على فوائد إيمانية عظيمة، منها:

(١) جامع الترمذي برقم (٣٥٤٩)، ومستدرك الحاكم ٣٠٨/١ واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي. وانظر صحيح الجامع برقم (٤٠٧٩)، وصحيح الترغيب والترهيب للألباني برقم (٦٢٠).

(٢) سنن النسائي برقم (٢٢٢٠)، وصحيح ابن خزيمة برقم (١٨٩٣)، والإحسان برقم (٣٤١٦)، وانظر صحيح الجامع الصغير برقم (٤٠٤٤)، وصحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٧٧).

أ – ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى يا ابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الذين تذكرني فيهم) رواه البزار [(١)].

ب – ومعية الله تعالى، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني) رواه البخاري ومسلم [(٢)].

ج – اطمئنان القلب كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

د – التحصن من الشيطان، كما جاء في حديث الحارث الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (وآمركم بذكر الله كثيراً، ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، حتى أتى حصناً حصيناً، فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله) [(٣)].

---

(١) أنظر كشف الأشعار برقم (٣٠٦٥)، ومجمع الزوائد ٧٨/١٠، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن معاذ العقدي وهو ثقة.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٧٥).

(٣) تقدم هذا الحديث ص١١٧ .

هـ - النجاة من النار، كما جاء عن جابر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما عمل آدمي عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى. قيل: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع) رواه الطبراني [1].

٤ - وأفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم مع التدبر في آياته، والتفكير في مواعظه وأمثاله، فينبغي أن يكون للداعية ورد من تلاوة القرآن في كل يوم، يختار له من الأوقات ما يناسبه، لأن في تلاوة القرآن غذاء الروح، وزكاة النفس، وشفاءها من أمراضها، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال جل وعلا: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وفي تلاوة القرآن زيادة الإيمان، وقوته، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]. وقال جل وعلا: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) أنظر المعجم الصغير ١/٧٧، ومجمع الزوائد ١٠/٧٤، وصحيح الجامع برقم (٥٦٤٤).

٥ – وأخيراً ينبغي أن يكثر الداعية من الصدقة، فإن الله تعالى يقول: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

وفي الصدقة من الفوائد الإيمانية الكثيرة:

أ – أنها برهان على صدق إيمان المنفق وقوته، كما جاء في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والصدقة برهان) رواه مسلم[1].

ب – وهي براءة من النفاق لأن المنافقين لا يتصدقون كما قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال سبحانه فيهم: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

ج – والصدقة تطهير لصاحبها من الذنوب والسيئات، وزكاة له، وبركة ونماء في ماله، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣).

وعن جابر رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكعب بن عجرة: (يا كعب بن عجرة: الصلاة قربان، والصيام جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار) رواه أبو يعلي والحاكم[1].

د - والصدقة بعد ذلك حجاب، وستر، ووقاية من النار كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان) رواه أحمد[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة) رواه أحمد[3].

هـ - والصدقة تطفئ غضب الرب جل وعلا، وتدفع ميتة السوء، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء) رواه الترمذي وابن حبان[4].

---

(١) مسند أبي يعلي برقم (١٩٩٩)، ومستدرك الحاكم ٤٢٢/٤ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر مجمع الزوائد ٢٣٠/١٠، ٢٤٧/٥، وصحيح الترغيب والترهيب ٣٦٣/١.

(٢) مسند الإمام أحمد ٧٩/٦ وانظر مجمع الزوائد ١٠٥/٣، والسلسلة الصحيحة ٥٩٧/٢.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤٤٦/١، ومجمع الزوائد ١٠٥/٣. وانظر صحيح الترغيب والترهيب برقم (٨٥٨).

(٤) جامع الترمذي برقم (٦٦٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والإحسان برقم (٣٣٠٩).

و - والصدقة ظل ظليل للعبد يوم القيامة، يوم الحر العظيم، كما جاء في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس) رواه أحمد والحاكم[1].

ثالثاً: إن مما يزيد الإيمان في قلب المؤمن:

أ - تدبره في هوان الدنيا، وقلة شأنها، وتفكره في الأمثال التي ضربت لها في الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومن الأحاديث ما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) رواه الترمذي وابن ماجه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسخلة جرباء، قد أخرجها أهلها، فقال:

---

(١) مسند أحمد ١٤٧/٤، ومستدرك الحاكم ٤١٦/١ وصححه ووافقه الذهبي، وانظر صحيح الجامع برقم (٤٥١٠)، وصحيح الترغيب والترهيب برقم (٨٦٦).

(٢) جامع الترمذي (٢٣٢٠) وقال: هذا حديث صحيح غريب، وسنن ابن ماجه برقم (٤١١٠).

أترون هذه هينة على أهلها ؟ قالوا: نعم. قال: للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي من حديث المستورد بن شداد [1].

ب - تفكره في سرعة انقضاء الدنيا، وأن بقاء الإنسان فيها يسير جداً، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [المؤمنون].

وقال جل وعلا: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٤٥].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) رواه الترمذي [2].

ج - تفكره في نعيم الآخرة، وما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة، وتأمل الآيات والأحاديث الواردة في ذلك.

مثل قول الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ

---

(١) مسند أحمد ٣٣٨/٢، وابن ماجه برقم (٤١١١)، والترمذي برقم (٢٣٢١) من حديث المستورد بن شداد قال: حديث المستورد حديث حسن.

(٢) جامع الترمذي برقم (٢٣٧٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. والآيات في وصف نعيم الجنة كثيرة جداً.

ومن الأحاديث ما جاء عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك. فيقول: رضيت رب.. الحديث) رواه مسلم [(١)].

د - موازنة شهوات الدنيا وملاذها في هوانها وسرعة انقضائها، بنعيم الجنة في سعته وخلوده، وذلك من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، كمثل قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٨٩).

والآيات الواردة في هذا الباب كثيرة.

ومن الأحاديث ما رواه المستورد أخو بني فهر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه - وأشار يحيى بالسبابة - في اليم فلينظر بم يرجع) رواه مسلم [1].

هـ - تدبر الآيات والأحاديث الواردة في وصف عذاب النار، وألوان النكال لأصحاب الجحيم، فإن في ذلك ما تتخلع له القلوب، عند تأمله والتفكر فيه، مثل قول الله جل وعلا: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

وقوله جل وعلا: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) ﴾ [الحج].

وقوله جل وعلا: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) ﴾

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٥٨).

[الصافات]. والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

ومن الأحاديث ما جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهون أهل النار عذاباً، من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه، كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً) رواه البخاري ومسلم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ناركم هذه التي يوقد ابن آدم، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها) رواه البخاري ومسلم[2].

إن التدبر في كل ما سبق، والتأمل فيه، ومعاودة ذلك بين الفينة والأخرى، يقوي عزيمة المؤمن على طاعة الله تعالى، ويهون عليه الصبر في سبيل الله، ويفطم نفسه عن شهوات الدنيا المحرمة، وأفعالها الآثمة، وفي ذلك تقوية لإيمان العبد، وتزكية لنفسه، وتقويم لسلوكه، وطهارة لروحه.

رابعاً: الإكثار من ذكر الموت، والتفكر فيما بعد الموت من الحساب، ومفارقة الأهل والأحباب، دواء لقسوة

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٦٢)، وصحيح مسلم برقم (٢١٣) واللفظ له.

(٢) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له.

القلوب، وعلاج لضعف الإيمان، وقد أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثروا ذكر هاذم اللذات - يعني الموت - فإنه ما كان في كثير إلا قلله ولا قليل إلا جزأه) رواه الطبراني[1] .

والمؤمن بمقدار ما يكثر من ذكر الموت يحسن الاستعداد لآخرته، وبذلك يكون الإكثار من ذكر الموت مؤشراً على صلاح العبد، واستقامة سيرته، وقوة إيمانه، كما جاء عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: (مات رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل أصحاب رسول الله يثنون، ويذكرون من عبادته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت، فلما سكتوا قال رسول الله: هل كان يكثر ذكر الموت ؟ قالوا: لا. قال: فهل كان يدع كثيراً مما يشتهي ؟ قالوا: لا. قال: ما بلغ صاحبكم كثيراً مما تذهبون إليه) رواه الطبراني[2] .

وذكر الموت يوقظ المؤمن من غفلته، ويجعله يكفكف من طول أمله، ويحرره من أسر الشهوات، ويحكم سيطرة عقله على غرائزه، وبذلك يكون كيساً حازماً، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أتيت النبي

---

(١) تقدم ص١٥٢ .

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٠٨: رواه الطبراني وإسناده حسن.

صلى الله عليه وسلم عاشرة عشرة، فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبي الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت، وأكثرهم استعداداً لما بعد الموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) رواه الطبراني[1].

والقرآن الكريم يدعونا إلى المبادرة إلى طاعة الله تعالى، قبل نزول الموت، حيث يندم المقصر، ويسأل ربه أن يؤخر أجله، ولكن سبق القضاء من الله تعالى بأنه لن تؤخر نفس إذا جاء أجلها. قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (10) وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11) ﴾ [المنافقون].

وينبغي للداعية أن لا يغفل عن تشييع الجنائز، ولا عن زيارة المقابر، فإنها تذكر الآخرة، كما قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر، رضي الله عنه: (زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى، فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك، فإن الحزين في ظل الله يتعرض كل خير) رواه الحاكم[2]. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٩/١٠: رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن.

(٢) مستدرك الحاكم ٣٣٠/٤ وصححه ووافقه الذهبي.

صلى الله عليه وسلم في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى، ثم قال: يا إخواني لمثل هذا فأعدوا) رواه ابن ماجه [١].

خامساً: الالتجاء إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء، والسؤال بخشوع أن يقوي إيمانه، ويجدده في قلبه، ويثبت قلبه على الطاعة، فإن القلوب بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، ولقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري) رواه مسلم [٢].

والله جل وعلا يقول في كتابه: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧]. فينبغي أن يكثر المؤمن من الدعاء بقوله: اللهم حبب إلي الإيمان وزينه في قلبي، وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) رواه مسلم [٣].

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٤١٩٥)، وانظر صحيح الجامع برقم (٧٨٤٤)، والسلسلة الصحيحة برقم (١٧٥١)

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٤).

ولقد علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، أن نلجأ إلى الله تعالى، ليجدد الإيمان في قلوبنا، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم) رواه الطبراني والحاكم[1].

وهذا الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، ينبغي أن يكثر منه الداعية المسلم، وأن لا يغفل عنه أبداً، فإن الله تعالى وعد بإجابة الدعاء بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

سادساً: ممارسة الدعوة إلى الله تعالى عملياً، والحركة بهذا الدين على أرض الواقع، ومجابهة انحراف المنحرفين، والتصدي لفساد الفاسدين، واحتمال الأذى في سبيل الله، والصبر على المكروه ابتغاء رضوان الله، والثقة بنصر الله وتأييده، والتوكل عليه في الإعانة على رد كيد الأعداء، وعدم الخضوع لترهيب الأعداء وتخويفهم، كل ذلك يؤدي بالداعية إلى زيادة إيمانه، وقوة إيمانه كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. أي ما

---

(١) أنظر مجمع الزوائد ٥٢/١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن، ومستدرك الحاكم ٤/١ وصححه ووافقه الذهبي. وانظر صحيح الجامع برقم (١٥٩٠)، والسلسلة الصحيحة برقم (١٥٨٥).

زادهم النظر إلى الأحزاب وجموعهم، إلا إيماناً بالله تعالى وتسليماً لقضائه[1].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢]: (قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: يعنون قوله تعالى في سورة البقرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ (أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب)[2].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

قال القرطبي: ((فزادهم إيماناً) أي فزادهم قول الناس إيماناً، أي تصديقاً ويقيناً في دينهم، وإقامة على نصرتهم، وقوة وجراءة واستعداداً)[3].

---

(١) أنظر تفسير القرطبي ١٤/١٥٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٢٦٦.

(٣) تفسير القرطبي ٤/٢٨٠.

وقال ابن كثير: ((الذين قال لهم الناس إن الناس... الآية...) أي الذين توعدهم الناس بالجموع، وخوفوهم بكثرة الأعداء، فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به)[1].

وقال أبو السعود: (والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك، بل ثبت به يقينهم بالله تعالى، وازداد اطمئنانهم، وأظهروا حمية الإسلام، وأخلصوا النية عنده... ثم قال: (والله ذو الفضل العظيم) حيث تفضل عليهم بالتثبيت، وزيادة الإيمان، والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد، والتصلب في الدين، وإظهار الجراءة على العدو، وحفظهم عن كل ما يسوؤهم، مع إصابة النفع الجليل. وفيه تحسير لمن تخلف عنهم، وإظهار لخطأ رأيهم، حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء)[2].

فالحركة بالدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وما يصاحب ذلك من المواقف العصيبة، والشدائد الرهيبة، والصبر على كل ذلك، تصديقاً بموعود الله تعالى، من النصر في الدنيا، والمثوبة في الآخرة، والثبات في وجه الأعداء، وعدم التأثر بأراجيفهم وترهيبهم، كل ذلك يزيد في إيمان الداعية، ويقوي إيمانه ويقينه، حيث تلجئه الشدة إلى الله تعالى،

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٦٤٥.

(٢) تفسير أبو السعود ٢/١١٤ .

متضرعاً ومخلصاً، فيزول الغبش، وتتمحص القلوب كما قال تعالى في معرض بيان الحكم الكامنة وراء ما أصاب المسلمين من الفرح والشدة يوم أحد: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤١].

قال سيد قطب في تفسير الآية:(التمحيص عملية تتم في داخل النفس، وفي مكنون الضمير. إنها عملية كشف المكنونات الشخصية، وتسليط الضوء على هذه المكنونات، تمهيداً لإخراج الدخل والدغل والأوشاب، وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق، بلا غبش ولا ضباب)[1].

سابعاً: أن يزيد في إيمان المؤمن، ممارسة الولاء والبراء، أو بعبارة أدق ما يقتضيه مبدأ الولاء والبراء، فمحبة المؤمنين لغير سبب سوى أنهم مؤمنون، والبراءة من الكافرين لغير سبب سوى لأنهم كافرون، وكراهية فسق الفاسقين، وانحراف المنحرفين، وانفعال النفس بذلك، بغض النظر عن أواصر القربى، وغيرها من الأواصر، سوى آصرة الإيمان. إن كل ذلك سبب لزيادة إيمان المؤمن وقوته، كما جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) رواه أبو داود[2].

---

(١) في ظلال القرآن ص٤٨٢.

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٦٨١)، وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٣٨٠)، وصحيح الجامع برقم (٥٩٦٥)

وفي حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله) رواه البيهقي في شعب الإيمان[1].

وموضوع البراءة من الكفار، وكراهيتهم لكفرهم وضلالهم، وعدم موالاتهم، له في كتاب الله تعالى شأن كبير.

فقد قال الله تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢].

فحين خلت قلوبهم من المودة لأعداء الله على الرغم من أواصر القرابة، أثبت الله لهم الإيمان الكامل، وأمدهم بروح منه، وأعلى درجتهم في الآخرة، إلى حد أنه رضي عنهم وأرضاهم، وجعلهم حزبه.

ودعانا ربنا جل وعلا إلى الإقتداء بإبراهيم عليه السلام، حين برئ هو و المؤمنون معه من قومهم، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء أبداً إلا أن يؤمنوا. وذلك في قول

---

(١) أنظر السلسلة الصحيحة برقم (٢٣٠٠)، وصحيح الجامع برقم (٥٩٥٨).

الله جل وعلا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهذه المفاصلة للكافرين، والمعاداة للمشركين، لا تناقض قوله جل وعلا: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]. لأنها في البر والصلة أما الآية الأولى فهي في المحبة والموالاة.

قال ابن حجر: (ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه)[١].

وقصة النزول تلقي الضوء على معنى الآية. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: (أتتني أمي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم آصلها ؟ قال: نعم. قال ابن عيينة[٢]: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨] رواه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) فتح الباري ٥/٢٣٣.

(٢) سفيان بن عيينة الكوفي ثقة حافظ فقيه إمام حجة (ت/١٩٨) أنظر التقريب ١/٣١٢.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٩٧٨)، وصحيح مسلم (٢٣٢٤)، واللفظ للبخاري.

ثامناً: إن اجتهاد الداعية في تحسين أخلاقه، واهتمامه بالالتزام بالسلوكيات الإسلامية في حياته، وحرصه على ممارسة ما دعا إليه الإسلام، ورغب فيه من الأخلاق الفاضلة، والأعمال الكاملة، يعتبر علاجاً لحالة ضعف الإيمان، وسبباً لزيادة الإيمان وقوته، وذلك للأدلة الآتية:

أ - تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل حسن الخلق مقياساً لكمال الإيمان، فقال: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)[١]. وبين عليه الصلاة والسلام أن أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً[٢].

ب - إن أخلاق الإيمان وسلوكياته عبادات من أفضل العبادات، وأعظمها أجراً، فمثلاً السعي في خدمة الأرامل وقضاء حوائجهن، ومساعدة المساكين والمعدمين، يعدل الجهاد في سبيل الله، والصيام والقيام، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل) رواه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) تقدم ص١٤٠ .

(٢) تقدم ص١٤٢ .

(٣)صحيح البخاري برقم (٦٠٠٦) وهذا لفظه، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٢).

وإنما عظم أجر الساعي عليهما لأنهما في حاجة ماسة للمساعدة.

والذي نحى غصن شوك من طريق المسلمين غفر الله ذنوبه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخذه فشكر الله له، فغفر له) رواه البخاري ومسلم[1].

وإنما عظم أجر هذا العمل لكثرة المنتفعين به.

وعندما يقوم الداعية بهذه الأعمال وأمثالها، يحصل على أجر عظيم، ويزيد إيمانه بهذه الطاعات.

ج - الأخلاق والسلوكيات الإسلامية هي من شعب الإيمان، وبالتالي فإن الالتزام بها، هو التزام بشعب الإيمان وفروعه، وعليه فإن إيمان الداعية يقوى بمقدار التزامه بتلك الأخلاق والسلوكيات.

د - ورد في بعض الأحاديث الشريفة، بيان أثر بعض من أخلاق الإيمان وسلوكياته في علاج ضعف الإيمان، فمثلاً قسوة القلب التي هي من أسباب ضعف الإيمان، يكون علاجها بمسح رأس اليتيم، والعطف عليه، وملاطفته، وبمساعدة المساكين، في تقديم ما

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤٧٢)، وصحيح مسلم برقم (١٩١٤).

يحتاجون إليه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه (أن رجلاً شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه، فقال: امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين) رواه أحمد[1].

هـ - الاجتهاد في قضاء حوائج المسلمين سبب لقضاء الله تعالى حاجة العبد، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) رواه البخاري ومسلم[2].

فإذا سعى الداعية في قضاء حوائج المسلمين، بقصد أن يقضي الله حاجته، التي هي تقوية إيمانه، وتخليصه من حالة ضعف الإيمان، فإن الله تعالى يستجيب له، ويزيد في إيمانه، وينيله أربه، ويبلغه مقصوده.

الخاتمة وتتضمن

١ - خلاصة البحث وأهم نتائجه.

٢ - ثبت المراجع والمصادر.

٣ - فهرس المحتويات.

---

(١) تقدم ص٣٤ .

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٢)، وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٠).



خلاصة البحث وأهم النتائج

وفي ختام هذا البحث عن ضعف الإيمان باعتباره أحد معوقات الدعوة الإسلامية نخلص إلى الآتي:

١ - ضرورة عناية الداعية بسلامة قلبه من الأمراض، وطهارة فؤاده من الأدواء، التي تضعف الإيمان، مثل: النفاق، والكبر، والقسوة، والحسد، والرياء، وأمثالها.

فالقلب المريض تربة غير صالحة لنمو شجرة الإيمان المباركة نمواً قوياً مرضياً.

٢ - اتباع الهوى ينقص الإيمان، وكلما أمعن العبد في اتباع هواه اشتد نقص إيمانه، وازداد ضعفه، وما يزال العبد يلج في اتباع هواه حتى يصبح عبداً لهواه.

والداعية أولى الناس بالحذر من اتباع الهوى، بقسميه: هوى الشبهات، وهوى الشهوات، لما يدرك من خطر اتباع الهوى على الإيمان. وليكن نصب عين الداعية أبداً، قول الله تعالى:﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

على أن الفقه في الدين، والتزود بالثقافة الإسلامية الواسعة يساعدان الداعية على النجاة من هوى الشبهات. كما أن الخوف من الله تعالى، والاستعداد للوقوف بين يديه للحساب والجزاء، يحرران الداعية من أسر هوى الشهوات، ويمكنانه من التسامي على فتنة النساء، وفتنة المال، وفتنة

الأولاد، وفتنة الجاه.

٣ - الشيطان هو العدو الأول للإنسان، ينصب له الشباك المختلفة لإضلاله، مثل تزيين المعاصي، والتثبيط عن الطاعات وأداء الواجبات، والتشكيك في حقائق الإيمان واليقينيات، والتفريق بين المؤمنين بالعداوة والبغضاء. فعلى الداعية أن يكون حذراً من شباك الشيطان ومصائده، وأن لا يغتر بألاعيب الشيطان وخداعه، وليعتصم بأسباب النجاة من كيد الشيطان مثل: المبادرة إلى التوبة، والذكر الكثير، والتوكل على الله تعالى، والاستعاذة بالله من شر الشيطان، ولزوم الجماعة والعامة والمسجد.

٤ - من مظاهر ضعف الإيمان التي لها أثر كبير في تعويق الدعوة، التهاون في ارتكاب المحرمات. فعلى الداعية أن يجتهد كل الاجتهاد في اجتناب الذنوب: كبيرها وصغيرها، واجتناب الشبهات كذلك استبراء لدينه وعرضه. وليعلم أن عيون الأعداء تتربص به، وأن سهامهم لا ترحمه. وأن الأعداء إنما يحاربون الإسلام من خلال هجومهم على دعاته، والتشهير بهم، وتكبير أخطائهم، فلا يؤتين الإسلام من قبلك أيها الداعية الكريم.

٥ - ومن مظاهر ضعف الإيمان التي لها أثر كبير في تعويق الداعية، وفشله في دعوته، التقصير في

العبادات: بعدم الإحسان في أداء الفروض، وبالتقلل من النوافل والمستحبات.

والداعية ينبغي أن يكون قدوة للناس في الاجتهاد في الطاعة، لا في التقصير والتهاون في نوافل العبادات.

٦ - ومن مظاهر ضعف الإيمان التي ينبغي أن يحذرها الداعية أشد الحذر، المخالفة بين القول والعمل، لأن ذلك يوقعه تحت وطأة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف]. بالإضافة إلى ما يتركه في نفوس المدعوين من أثر سيئ.

٧ - ومن مظاهر ضعف الإيمان التي يجب على كل داعية أن يجتنبها سوء الخلق، لأن سوء الخلق ينفر الناس من الداعية، وليكن للداعية أبلغ العبرة في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

٨ - ومن مظاهر ضعف الإيمان التثاقل عن واجبات الدعوة، فينبغي للداعية أن يجتهد في التخلص من أسباب هذا التثاقل مثل: الكسل، والغفلة عن الآخرة، والغرور، ليسلم من التثاقل و آثاره في تعويق الدعوة.

٩ - ومما ينبغي أن يحذره الداعية كذلك الإحباط، واليأس

من الإصلاح، لأن أثار الإحباط خطيرة في تعويق الدعوة، فالإحباط يقتل الهمة، واليأس من الإصلاح يدمر العزيمة، والإنسان المحبط لا يستطيع القيام بعمل مثمر، ولا يعتمد عليه في تحقيق برنامج طموح.

١٠ - وأخيراً فعلى الداعية أن يتعاهد إيمانه بشكل دائم، ولا يغفل عن الأخذ بأسباب قوة الإيمان، مثل: الاجتهاد في الطاعات، وبخاصة قيام الليل، والصيام المندوب، والإنفاق في سبيل الله، والإكثار من ذكر الموت وغير ذلك من الأسباب التي سبق ذكرها، وعلى رأسها الالتجاء إلى الله تعالى بتضرع وخشوع، لسؤاله قوة الإيمان، والتوفيق للهدى والرشاد.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع والمصادر

١ – الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي. تحقيق شعيب الأرناءوط. نشر مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢ – إحياء علوم الدين للإمام الغزالي. نشر دار الندوة الجديدة في بيروت.

٣ – إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية. تحقيق خالد عبد اللطيف السبع. نشر دار الكتاب العربي في بيروت. الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤ – أدب الدنيا والدين للماوردي. تحقيق مصطفى السقا. نشر دار الكتب العلمية في بيروت.

٥ – الأدب المفرد للبخاري. نشر دار البشائر الإسلامية في بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٦ – الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار لابن عبد البر. تحقيق د/ عبد المعطي أمين قلعجي. نشر دار قتيبة في دمشق ودار الواعي في حلب. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٧ – الأمل وأثره في حياة الأمة لمحمد عبد الله أبو صعيليك. نشر دار القلم في دمشق الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٨ - تخريج العراقي لأحاديث إحياء علوم الدين المسمى المغني عن حمل الأسفار في الأسفار. مطبوع على هامش إحياء علوم الدين. طبعة دار الندوة الجديدة في بيروت.

٩ - الترغيب والترهيب للحافظ المنذري. تحقيق محي الدين مستو وزميليه. نشر دار ابن كثير ودار الكلم الطيب في دمشق. الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٠ - تفسير ابن عطية المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين. نشر وزارة الأوقاف القطرية. ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.

١١ - تفسير ابن كثير. تحقيق حسين بن إبراهيم زهران. نشر دار الفكر في بيروت ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م.

١٢ - تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. نشر دار إحياء التراث العربي في بيروت.

١٣ - تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب. نشر دار الفكر في بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٨١م.

١٤ - تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر. نشر دار المعارف في مصر. الطبعة الثانية.

١٥ - تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن. تصحيح أحمد عبد الحليم البردوني. نشر دار الكتاب العربي. الطبعة الثانية.

١٦ - تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي. نشر دار الندوة الجديدة في بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١٧ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. نشر مؤسسة الرسالة في بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٨ - الجامع الصحيح للإمام الترمذي. تحقيق أحمد محمد شاكر. نشر دار إحياء التراث العربي في بيروت.

١٩ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي. تحقيق علي محمد معوض وزميله. نشر مكتبة العبيكان في الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني. نشر دار الكتاب العربي في بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٢١ - الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي. نشر دار الفكر في بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٢ – ذم المال والجاه في شرح حديث، ما ذئبان جائعان لابن رجب الحنبلي. تحقيق أشرف بن عبد المقصود. مكتبة طبرية في الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢٣ – رياض الصالحين للإمام النووي. تحقيق عبد العزيز رباح وزميله. نشر دار المأمون للتراث في دمشق. الطبعة العاشرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٤ – الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي. نشر دار الفكر في بيروت ١٤٠٣هـ.

٢٥ – سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني. نشر المكتب الإسلامي في بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٢٦ – سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني. نشر المكتب الإسلامي في بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٢٧ – سنن ابن ماجه بشرح السندي. تحقيق خليل مأمون شيحا. نشر دار المعرفة في بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

٢٨ – السنن الكبرى للبيهقي. نشر دار الفكر.

٢٩ – السنن الكبرى للنسائي. تحقيق د/عبد الغفار سليمان البنداري. نشر دار الكتب العلمية في بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٠ – سنن النسائي تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. نشر دار البشائر الإسلامية في بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٣١ – شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي. تحقيق جماعة من العلماء. نشر المكتب الإسلامي في بيروت. الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م.

٣٢ – شرح النووي على صحيح مسلم. نشر دار الكتب العلمية في بيروت.

٣٣ – شرح مشكل الآثار للطحاوي. تحقيق شعيب الأرناءوط. نشر مؤسسة الرسالة في بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٤ – شعب الإيمان للبيهقي. تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. نشر دار الكتب العلمية في بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٥ – صحيح الأدب المفرد للشيخ محمد ناصر الدين الألباني. نشر دار الصديق في الجبيل. الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٦ – صحيح البخاري مطبوع مع شرحه فتح الباري بعناية محب الدين الخطيب. نشر المكتبة السلفية.

٣٧ – صحيح الترغيب والترهيب للألباني. نشر المكتب الإسلامي في بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٨ - صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني. نشر المكتب الإسلامي في بيروت. الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
٣٩ - صحيح ابن خزيمة تحقيق د/ محمد مصطفى الأعظمي. نشر المكتب الإسلامي في بيروت.
٤٠ - صحيح سنن ابن ماجه للألباني. نشر المكتب الإسلامي في بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٤١ - صحيح مسلم. نشر دار السلام في الرياض. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٤٢ - ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني. نشر المكتب الإسلامي في بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.
٤٣ - عداوة الشيطان للإنسان كما جاءت في القرآن للدكتور عبد العزيز بن صالح العبيد. نشر رابطة العالم الإسلامي. العدد ١٩٠ من سلسلة دعوة الحق ١٤٢١هـ.
٤٤ -العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني. تحقيق د / محفوظ الرحمن زين الله السلفي. نشر دار طيبة في الرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٤٥ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر العسقلاني بعناية محب الدين الخطيب. نشر المكتبة السلفية في القاهرة.

٤٦ – الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للبنا. نشر دار إحياء التراث العربي في بيروت.

٤٧ – فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي. نشر دار المعرفة في بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

٤٨ – في ظلال القرآن لسيد قطب. نشر دار الشروق. الطبعة الثامنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٩ – القاموس المحيط للفيروزآبادي. نشر مؤسسة الرسالة في بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥٠ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري. نشر دار الفكر في بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٥١ – كشف الأستار عن زوائد مسند البزار على الكتب الستة للهيثمي. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. نشر مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٢ – الكليات للكفوي. تحقيق د/ عدنان درويش وزميله. نشر مؤسسة الرسالة في بيروت. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٥٣ – ليس من الإسلام للشيخ محمد الغزالي. نشر دار

القلم في دمشق الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٥٤ - المبشرات بانتصار الإسلام تأليف د/ يوسف القرضاوي. نشر دار القلم في دمشق. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٥٥ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي. نشر دار الكتاب العربي في بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥٦ - مختار الصحاح للرازي. نشر دار الكتب العربية في بيروت.

٥٧ - مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد لابن حجر العسقلاني. تحقيق صبري عبد الخالق أبو ذر. نشر مؤسسة الكتب الثقافية في بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٥٨ - المستدرك على الصحيحين للحاكم. نشر دار الكتاب العربي في بيروت.

٥٩ - مسند أبي يعلي الموصلي. تحقيق حسين سليم أسد. نشر دار المأمون للتراث في دمشق. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٠ - مسند الإمام أحمد. تحقيق أحمد محمد شاكر. نشر دار المعارف في مصر ١٣٦٩هـ.

٦١ - المسند للإمام أحمد بن حنبل. نشر المكتب الإسلامي في بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

٦٢ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري. تحقيق محمد المنتقي الكشناوي. نشر دار العربية في بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٦٣ - المعجم الصغير للطبراني. نشر دار الفكر. الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦٤ - المعجم الكبير للطبراني. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. نشر وزارة الأوقاف العراقية. الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦٥ - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. إعداد مجموعة من الباحثين. نشر دار الوسيلة في جدة. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦٦ - الموطأ للإمام مالك بن أنس. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. نشر دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة